مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث ، مجلة علمية محكّمة تصدر عن عمادة البحث العلميّ والدّراسات العليا، ISSN 2519-7436

المجلد (9) العدد (4) لعام 2023 م

تقرير مختصر عن المناطق المجاورة لبحيرة طبريا ونهر الأردن والبحر الميت من إعداد م. سيتيزن في عام 1810

الدكتور أديب موسى السلامين

الدكتور فوزي قاسم أبو دنه

جامعة الحسين بن طلال

ملخص

تتناول هذه الدراسة من خلال الترجمة والتحقيق ملخصاً كان قد أرسله الرحالة والمستشرق الألماني م. سيتيزن إلى ألمانيا على شكل رسالة قدم فيها موجزاً عن رحلته لاستكشاف الأرض المقدسة في عامي 1805 و1806. هذا الملخص أو التقرير تم نشره لصالح جمعية فلسطين اللندنية، وتمت طباعته وبيعه من خلال ميلر وأبنائه في مدينة باث البريطانية، ومن خلال هاتشارد في لندن عام 1810. وعلى الرغم من أنّ هذا التقرير مختصر، إلا أنّه يضم معلومات مهمة عن مواقع ومعالم لم تعد موجودة أو لا يمكن الوصول إليها؛ بسبب التغيرات السياسية والبيئية والحروب التي شهدتها المنطقة في القرن العشرين. كما أنه يقدم وصفاً مهماً للناس والأرض في مناطق حوران وبحيرة طبريا والبحر الميت. التقرير أيضاً فيه ذكر لبعض الممارسات المرتبطة بالتراث الثقافي اللامادي للسكان المناطق التي مر بها سيتيزن، وكثير منها اندثر ولم يعد له أثر في حياة الناس.

الكلمات الدالة: سيتيزن، فلسطين، نهر الأردن، البحر الميت، الديكابوليس.

المقدمة[1]

لقد جرت العادة مؤخرا على نشر الرحلات في أنحاء العالم البعيدة، وكلما كان البلد الموصوف غير معروف وغير مألوف، زادت الرغبة من قبل الجمهور في القراءة والمعرفة. لذلك ليس من الضرورة الاعتذار على تقديم الصفحات التالية للجمهور الإنجليزيّ (الناطق باللغة الانجليزية)؛ لأنّه من الغرابة بمكان أن عدداً قليلاً من البلدان غير معروف بشكل كامل لكل الأوروبيين مثل تلك الأجزاء من أرض يهوذا[2] التي قام بزيارتها السيد (سيتيزن). وبينما تم وصف العالم الجديد الواقع وراء الأطلسي بشكل متكرر ووضعه على خرائط أصلية، وبينما تم الوصول إلى مناطق غير مهمة كسيبيريا وصحاري أفريقيا من قبل مستكشفين معاصرين دفعهم الفضول وتحملوا العناء جراء ذلك، إلا أنّ الأرض التي يمكن تسميتها بالجزء الأقدم من الكوكب، أو التي على الأقل لدينا حولها التاريخ الأقدم والأكثر صمتًا، حيث غُرست بذور المسيحية لأول مرة وحيث عاش وتعلم رسول ديننا، غير معروفة بشكل كامل ومهملة[3].

جزء صغير من فلسطين تم زيارته بشكل متكرر من قبل الرحالة الأوروبيين الذين ذهبوا للأرض هناك بدوافع الفضول والحب الديني، لكن رؤيتهم انحصرت في الطريق المحدد من يافا أو عكا إلى القدس وبيت لحم. وحتى هذا الجزء لم يتم وصفه بالدقة والتفصيل المرجو، وتم ترك بقية الأرض في غموض كامل. وإزالة أكبر قدر ممكن من هذا الغموض هو الهدف الأساسي لجمعية لندن التي تُدعى" رابطة فلسطين"[4]. إن نيتهم هي نشر مثل هذه المعلومات من وقتٍ إلى آخر كلما استطاعوا استكشاف الوضع الحالي للأرض المقدسة[5]. لقد أرسلوا شخصاً[6] محترمًا وموثوقًا به إلى القدس وكانوا على تواصل معه وانتهزوا هذه الفرصة لطلب تعاون كل الذين قد يستشعرون الاهتمام في إزالة الجهل القائم حالياً فيما يتعلق بأرض فلسطين. الجهل الذي بعيداً عن الاعتبارات الدينية يعتبر عاراً على عصر العلم والاستكشاف. لقد طلبوا من الجميع، سواء كانوا أعضاءً في الجمعية أم غير أعضاء الاتصال بهم من خلال سكرتيرهم، وتزويدهم بأية معلومات

(1) مقدمة التقرير كما ورد في عام 1810.

(2) الاسم العبري التاريخي للمنطقة الجنوبية الغربية من فلسطين (حسب المزاعم التوراتية). عبودي، هنري س، معجم الحضارات السامية، جروس برس، طرابلس – لبنان، الطبعة الثانية، 1991، ص 926، سيشار إلى هذا الكتاب لاحقا: عبودي، معجم الحضارات السامية.

(3) وفي هذا إشارة واضحة وصريحة من مقدم الرحلة لأهمية ارض فلسطين من النواحي الدينية والسياسية والروحية وغير ذلك من النواحي الأخرى والتي لا يعلم العالم الغربي حينذاك الا القليل عنها.

(4) تأسست هذه الجمعية في بريطانيا عام 1804، وقد كرست عملها لبحث تاريخ المنطقة وجغرافيتها وتضاريسها، مع تركيز خاص على تاريخها التوراتي.

(5) استخدم هذا المصلح عند اليهود والنصارى للدلالة على الأراضي المقدسة في فلسطين وخاصة القدس وبيت لحم والناصرة.

(6) المقصود السيد سيتيزن (Seetzen،M) كاتب الرحلة.

يمتلكونها حول الوضع الحالي لتلك المناطق، وإذا ما تمكن أحد البحارة أو التجار من معرفة خطوط الطول ودوائر العرض على وجه الدقة للبلدان والقرى الواقعة ضمن المنطقة، سواءً على الساحل أو في الداخل فإن اتصالاتهم سيتم استقبالها مع بالغ الشكر حيث إنّ الخرائط التي نمتلكها معروف أنها ناقصة، لكن جهلنا المشار له يمنع كل محاولات التصحيح للخرائط في الوقت الحاضر[7].

إنّ المذكرات التالية التي تُقدم الآن للقارئ باللغة الإنجليزية كُتبت من قبل (سيتيزن) مستشار إمبراطور روسيا[8]. رسائله كانت موجهة إلى (م. دى زاخ)، القائد العام لمقاطعة ساكس جوثا[9]، وأجزاء من الرسائل ظهرت في أوقات مختلفة في صحيفة Moniteur [10]. وقد أرسل بعض أعضاء المعهد الوطني في باريس هذه الأوراق إلى السير (جوزيف بانكس)[11] ومنه مُررت إلى رابطة فلسطين. هذه المذكرات التي تعود للسيد (سيتيزن) مختصرة كثيراً لتشبع فضولنا وتشتمل على بعض الأهداف الأكثر أهمية في خطة الرابطة. وذلك الفاضل ركز في جهوده الأساسية على تصوير أو تقديم المناطق النائية وراء نهر الأردن (شرقاً)، وكان نجاحه بشكل عام أكبر بكثير مما كان متوقعاً. في المقابل فإن مضمون روايته والأسلوب النزيه الذي قدم من خلاله روايته للعالم غير قابل للتشكيك بمصداقية الكاتب.

(7) وهنا لا بد من الإشارة إلى أن محاولاتهم لمعرفة المنطقة بكل تفاصيلها كانت شغلهم الشاغل، ولأبعادهم الاستعمارية كان لزاما عليهم معرفة الجغرافية السياسية للمنطقة، وأخذ المعلومة من أي شخص مهما كان عمله.

(8) هو الإمبراطور الروسي الكسندر الثاني (نيكولايفيتش رومانوف) 1818 – 1881، الابن البكر للإمبراطور نيكولاس الأول، حرص والده على تعليمه وتدريبه العسكري، من أبرز ما قام به تحرير العبيد في روسيا عام1861 ولذلك سمي بالمحرر، اغتيل عام 1881. https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2015/3/3/%D8%A3%D9%84%D9%83%D8%B3%D9%86%D8%AF%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A

(9) جوثا هي خامس أكبر مدينة في ألمانيا حالياً، وهي ضمن مقاطعة لها تاريخ مهم في أوروبا حيث أنها مسقط رأس العديد من حكام العائلات الملكية الحاكمة في أوروبا بما في ذلك العائلة الملكية في كل من بريطانيا وبلجيكا والبرتغال.

(10) هي الجريدة الرسمية للحكومة الفرنسية أنشئت عام 1789 وأوقفت عام 1865. أنظر أبو شبكة، الياس، تاريخ نابوليون بونابرت، دار القلم، لبنان، ص127.

(11) عضو الجمعية الإفريقية الإنجليزية التي أنشاها فريق من العلماء البريطانيين بهدف تطوير الاكتشافات الجغرافية للقارة الإفريقية، ومعرفة الأحوال السياسية والاجتماعية فيها، وقد أرسلت الحكومة البريطانية عدة بعثات استكشافية على مجرى نهر النيجر في المدة من عام 1795-1806، انتهت كلها بهلاك أفرادها. انظر: بوركهارت، جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبد الله الصالح العثيمين، ص 4 وانظر ايضا: كاظم، الهام محمود، وصف الرحالة المستشرق جوهان لودفيج بوركهارت لقبور البقيع، مجلة دراسات استشراقية، العدد 12، السنة الرابعة 2017، ص 156، هامش رقم 5 ص 183.

مقتطف رسالة[12] من السيد ستيزن إلى السيد زاخ النائب العام لمحكمة ساكش جواثا ومحرر المراسلات الجغرافية والفلكية.

ستة شهور انقضت منذ أن نقلت لك في رسالتي من دمشق بعض المعلومات حول استمرارية رحلتي وفيها ملاحظات عن منطقة حوران[13]؛ أورانيتيس (Auranitis) القدامى، والجولان وعن سلسلة الجبال المزدوجة الشهيرة المعروفة باسم جبال لبنان ولبنان الشرقية. لقد أرفقت مع نفس الرسالة ملاحظاتي الفلكية (الجغرافية) التي سجلتها في دمشق وتتمة قائمة الكتب الشرقية المتعلقة بالجغرافيا والفلك والتي يمكن الحصول عليها من مكتبة جوثا[14]. آملاً بأن يصلك كل شيء برعاية السيد هامر في القسطنطينية. منذ ذلك الوقت قمت برحلة مرهقة وخطيرة رافقها العديد من المغامرات الفردية والتي سأعطيك بعض التفاصيل حولها. لقد عرفت من كتب العرافين التاريخية الأقدم أن هناك العديد من المدن المزدهرة في غابر العصور في المنطقة إلى الشرق من حرمون[15] ونهر الأردن والبحر الميت. تلك المدن ومناطقها كانت تسمى ربما بشكل غير مناسب ممالك، لكنها اشتهرت بالزراعة الممتازة لأرضها وبالعدد الكبير من البلدان والأماكن المحصنة. لقد وجد الرومان الذي امتدت فتوحاتهم بنجاح إلى هذه المناطق بلاداً مأهولة بالسكان. عُرفت بأسماء المؤابيين والعمونيين والعموريين والجلعاديين والبتانيا والأورانيتس[16]. لقد عرفت الأماكن الواقعة في الجزء الجنوبي من تلك البلاد

(12) الرسالة موقعة بتاريخ 1806.06.16 ومكانها عكا.

(13) حوران: هي الهضبة الواقعة في الطرف الجنوبي من الجمهورية العربية السورية بين الحوض الدمشقي في الشمال ومنخفض وادي اليرموك وجبال عجلون ومنخفض الأزرق ووادي السرحان في الجنوب والجنوب الشرقي، وتمتد من سفوح جبل الشيخ الشرقية ومرتفعات الجولان المشرفة على وادي الأردن في الغرب والجنوب الغربي، من جهة، ومنطقة الحماد والصفا من بادية الشرق، مرورا بجبل حوران (حاليا جبل العرب) في الشرق، وقد هيأها هذا الموقع لتكون البوابة الرئيسية لبلاد الشام للقادمين من الجزيرة العربية، وهمزة الوصل الإستراتيجية بين سوريا الشمالية وسوريا الجنوبية. انظر: مجموعة من الباحثين بإشراف ج.م. دانتزر، سورية الجنوبية (حوران)، بحوث أثرية في العهدين الهلليني والروماني، تعريب، عبد الكريم، أحمد وآخرون، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1988.

(14) مكتبة جوتة الالمانية واحدة من اشهر المكتبات العالمية.

(15) حرمون هو المسمى حاليا بجبل الشيخ والذي يقع في الجنوب الشرقي من لبنان في منطقة الجولان على الحدود بين لبنان وفلسطين وسوريا . فرداي، ايريك وآخرون، أطلس لبنان، الأرض والمجتمع، المجلس الوطني للبحوث العلمية، 2012، ص8.

(16) ذكر كاتب الرحلة العديد من الشعوب التي استوطنت شرق الأردن، وقد ابتدأ بذكر (المؤابيين) الذين كانوا أحد الممالك المهمة خلال العصر الحديدي ، والذين امتدت حدود مملكتهم الجغرافية ما بين وادي الموجب شمالا حتى وادي الحسا جنوبا، وذكر ايضا العمونيين الذين عاصروا المؤابيين وكانت حدود مملكتهم الجغرافية ما بين نهر الزرقاء شمالا ووادي الموجب جنوبا، كفافي، زيدان عبد الكافي، تاريخ الأردن وآثاره في العصور القديمة (العصور البرونزية والحديدية)، الطبعة الأولى، المقتبس، عمان – الأردن، 2006، ص 96، 100، سيشار الى هذا الكتاب لاحقا، كفافي، العصور القديمة، أما العموريين (الأموريين) فهم من الشعوب السامية التي هاجرت من الجزيرة العربية في الألف الثالث قبل الميلاد وسيطروا على مناطق شاسعة امتدت من جبال عيلام شرقا وحتى البحر الأبيض المتوسط غربا، وبالتالي كانت منطقة شرق الأردن من المناطق التي وقعت تحت حكمهم، عبودي، معجم الحضارات السامية، ص 129، وذكر الكاتب جلعاد التي كانت إحدى المناطق المهمة خلال فترة النبي داوود وابنه سليمان، قاموس الكتاب المقدس، مادة جلعاد، العبد الجبار، عبد الله عبد الرحمن، مقتطفات النصوص اليونانية الثانوية عن الجزيرة

في ذلك الوقت بالاسم العام بيرايا[17]، وكان من بينها المدن العشر المتحالفة[18]. لقد ترك الرومان كما هو الحال في البلدان التي فتحوها آثاراً عظيمة من عمارتهم الشاهدة على ذكائهم ورغبتهم في الخلود، ولم تتمكن سلسلة القرون الخمسة عشر التي مضت من محو هذه الشواهد على عظمتهم بشكل كامل.

العربية، – الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية– (لا يوجد رقم طبعة)، ترجمة: نجلاء عزت، تعليق: زياد الشرمان، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 2017، ص 70، 72، 75، 76،، سيشار إلى هذا الكتاب لاحقا: مقتطفات النصوص اليونانية، وقد كانت اراضي الجلعاديين (حسب رأي الجغرافيين القدامى) تمتد من عجلون شمالا وحتى الموجب جنوبا، اوليفانت، لورنس، ارض جلعاد – رحلات في لبنان وسورية والأردن وفلسطين (1880)، الطبعة الاولى، ترجمة: أحمد عويدي العبادي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2004، ص 120، وانظر ايضا: ليبي، وليام، وهوسكنز، فرانكلين، وادي الأردن والبتراء 1902، الطبعة الاولى، ترجمة: أحمد عويدي العبادي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان – وسط البلد، 2005، ص 83. أما البتانيا (Batanea) فقد ذكرت في بعض المصادر الكلاسيكية كواحدة من المناطق التي كانت تحت حكم الرومان، العبد الجبار، عبد الله عبد الرحمن، يوسيفوس (يوسف بن متى) والجزيرة العربية، – الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية – (لا يوجد رقم طبعة)، ترجمة: ابراهيم السايح، تعليق: فتحية بنت حسين عقاب، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 2017، ص 75، سيشار الى هذا الكتاب لاحقا: يوسيفوس والجزيرة العربية، العبد الجبار، عبد الله عبد الرحمن، بطليموس كلاوديوس والجزيرة العربية، – الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية– (لا يوجد رقم طبعة)، ترجمة: السيد جاد، تعليق: العبد الجبار عبد الله عبد الرحمن، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 2017، ص 70، 106، سيشار الى هذا الكتاب لاحقا: بطليموس والجزيرة العربية، مقتطفات النصوص اليونانية، ص 75، وقد قصد الكاتب على اغلب اراء الباحثين سكان منطقة باشان/ البثنية وهو سهل خصب يقع في جنوب سوريا، يحده من الغرب الجولان ومن الشرق اللجاة ومن الجنوب سهل حوران وجبل حوران، دوسو، رينيه، المسالك والبلدان في بلاد الشام في العصور القديمة، (لا يوجد رقم طبعة)، طبع بمساعدة وزارة الخارجية الفرنسية والمركز الوطني للأبحاث العلمية، ترجمة وتعليق: عصام الشحادات، بيروت – دمشق، 2013، ص 381، سيشار إلى هذا الكتاب لاحقا: رينيه، المسالك والممالك، وانظر ايضا: صلاح، محمد صقر، أسماء الأماكن والمدن والقرى في جنوب سورية، وتفسير معانيها في ضوء لغات الشرق القديمة – اللغات السامية، بحث أعد لنيل درجة الماجستير في لغات الشرق القديمة – اللغات السامية، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الآثار، العام الجامعي، 2003 – 2004، ص، 92، سيشار إلى هذا الكتاب لاحقا، صلاح، أسماء الأماكن والمدن والقرى، أما الاورانيتس فهم اهل حوران.

(17) تقع هذه المنطقة إلى الشرق من وادي نهر الأردن بين البحر الميت وبحيرة طبريا، العبد الجبار، عبد الله بن عبد الرحمن، بلينيوس والجزيرة العربية، – الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية – (لا يوجد رقم طبعة)، ترجمة: علي عبد الجيد، تعليق: زياد السلامين، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 2017، ص 29، 56، سيشار إلى هذا الكتاب لاحقا: بلينيوس والجزيرة العربية، وانظر أيضا الى كل من : بيشريللو، ميشيل، مادبا – كنائس وفسيفساء– (لا يوجد رقم طبعة)، ترجمة: ميشيل صباح وآخرون، مطبعة الآباء الفرنسيسكان، القدس، 1993، ص 81، 82، سيشار إلى هذا الكتاب لاحقا: بيشريللو ، مادبا – كنائس وفسيفساء–، جونز، أ، هـ، م، مدن بلاد الشام (حين كانت ولاية رومانية)، الطبعة الأولى، ترجمة: احسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، 1987، ص59، 64، 66،86، 88، 90، 91، 93، 95، 102، 115، سيشار الى هذا الكتاب لاحقا: جونز، مدن بلاد الشام.

(18) يبدو أن حلف الديكابوليس (اتحاد المدن العشر) كان قائما في العصر الهللينستي، ولكنه بدأ يظهر إلى حيز الوجود حلفا رسميا في العصر الروماني، ويبدو من دراسة المادة التاريخية المتوافرة وجود تباين واضح في عدد المدن التي شكلت هذا الاتحاد، فتذكر بعض المصادر التاريخية وجود سبع مدن في الأردن، ومدينتين في سوريا، وأخرى في فلسطين، وتشير مصادر أخرى إلى وجود ثماني مدن في الأردن، وواحدة في كل من سوريا وفلسطين، وقد منح الرومان هذه المدن استقلالا ذاتيا، وكان لكل مدينة نظامها الخاص إضافة إلى حاكم ومجلس شيوخ، ويبدو أن هذه المدن قد تأسست لتحقيق غايات تجارية واستراتيجية وثقافية، بلينيوس والجزيرة العربية، ص 60، 61 (هامش رقم 1) 62، 63، 66، وانظر ايضا إلى كل من: بطليموس والجزيرة العربية، ص 63 – 67، جونز، مدن بلاد الشام 1987، ص 40، 66، 100، 109.

وفي عهد الإمبراطورية الرومانية الغربية[19]، وتحت حكم أباطرة القسطنطينية النصارى كانت تلك البلاد وما تزال مزدهرة بكل قوتها إذا ما حكمنا عليها من خلال العديد الكبير من الأسقفيات والمطرانيات والأديرة والكنائس التي توجد فيها والتي ذُكرت أسماؤها في تاريخ بيزنطة[20]، لكن مع انهيار الإمبراطورية البيزنطية تفرق الناس الذين استوطنوها، أو دُمرت عندما وصلت فتوحات الخلفاء (المسلمين) إلى تلك المنطقة[21]. لقد رجعت عبثاً إلى كتب الجغرافيا العربية لأكتشف شيئاً يسير عن الوضع الحالي لهذه المنطقة وحتى بوشينج في كتابه جغرافية سوريا وفلسطين لم يقدم إلا ملاحظات غامضة. لذلك يتوجب علينا الاستنتاج بأن الرحالة المعاصرين لم يعرفوا قيمة هذه المناطق بشكل يكفي لجلب انتباههم وإجراء بحوثهم هناك. إن الرغبة في تعويض هذا النقص دفعتني إلى القيام بهذه الرحلة، ودون الالتفات إلى معارضة أصدقائي في دمشق الذين قالوا لي بأنّ القيام بها مرة واحدة أمر محفوف بالمخاطر وغير عملي. قيل لي الكثير من الأمور من بينها أني سأواجه صعوبة في الترحال في الصحراء وفي التواصل مع سكان المناطق الحدودية (البعيدة)، وأنّ العرب لن يسمحوا لي بإكمال طريقي وحتى حياتي ستكون في خطر بين هذه الحشود من الهمج. لكن لم يقم أحد بزيارة المنطقة شخصياً ومعظم المعلومات التي حصلت عليها مبنية على تقرير من المحتمل أنه خاطئ أو مبالغ فيه على أقل تقدير. إضافة إلى ذلك فقد

(19) في عام 395م انقسمت الامبراطورية الرومانية بشكل دائم إلى جزئين؛ شرقي وغربي، بعد وفاة الامبراطور ثيودوسيوس. الجزء الغربي انهار بشكل نهائي في عام 476م، واستمر الجزء الشرقي الذي كانت مدينة القسطنطينية عاصمته حتى عام 1453م عندما دخلها السلطان محمد الفاتح. الجزء الشرقي يعرف في أدبيات كتاب التاريخ والآثار باسم الدولة البيزنطية أو بيزنطة نسبة إلى اسم القسطنطينية في الفترة الهلنستية. القسطنطينية عرفت بهذا الاسم نسبة إلى الامبراطور قسطنطين الذي حكم روما من 306 حتى 337م، واتخذها عاصمة للامبراطورية في عام 324م بعد أن تفرد بالسلطة.

(20) دلت الحفريات الأثرية على أن الأردن شهد استيطانا بشريا كثيفا خلال الفترة البيزنطية، وكان من أهم عوامل الاستقرار هو الشعور بالأمان ، بالإضافة إلى القدرة على إنتاج الغذاء بشكل كاف، وتمتع المنطقة بشكل عام باهتمام السلطات البيزنطية، وجذب الحجاج المسيحيين من مناطق مختلفة، باعتبارها جزءا من الأماكن المقدسة في فلسطين، النصرات، محمد، تاريخ جنوب الأردن في الفترة البيزنطية من وادي الحسا شمالا حتى خليج أيلة (العقبة) جنوبا (324 – 636م)، (لا يوجد رقم طبعة)، منشورات وزارة الثقافة، عمان – الأردن، 2011، ص 118 – 119، سيشار إلى هذا الكتاب لاحقا: النصرات، تاريخ جنوب الأردن.

(21) يتضح من الكلام أن الكاتب قد افترى على الحقيقة، وأطلق العنان لرأيه دون الوقوف على حقائق الواقع الحياتي في منطقة شرق الأردن وغيرها من المناطق المجاورة، ذلك أن منطقة الأردن قد أخذت أهميتها من خلال الطريق التجاري وطريق الحج من دمشق إلى بلاد الحجاز، ولا زالت كذلك، ناهيك عن أن بعض خلفاء بني أمية قد بنوا عددا لا بأس به من القصور في ربوع البادية الأردنية، لممارسة هواية الصيد وكمحطات مراقبة ولحفظ الأمن في المناطق البعيدة عن مركز الدولة، وفي المجال الاقتصادي شهدت الأردن إنتاج زراعي في مجال الحبوب والفواكه والزيتون والنخيل وكروم العنب، وعلى صعيد التسامح الديني فقد بنيت إحدى اهم الكنائس في الأردن، كنيسة القديس أسطفانس خلال العهد العباسي، ومع مرور الوقت فقد اثبتت المصادر التاريخية انّ أسوأ الفترات التي مرت على المنطقة بشكل عام وعلى الأردن من ضمنها كانت فترة الحروب الصليبية التي اضرت بالبلاد والعباد.....

كان لدي معرفة جيدة جداً بالعرب البدو لا تجعلني أتراجع بسبب هذه التقارير، وأرى أنّني سأقدم خدمة للعلم إذا أصبحت قادراً على تقديم معلومات مؤكدة للناس عن الوضع الحالي للمدن العشر وآثارها ونباتها ومعادنها وغيرها من الأمور.

استكشاف منطقة اللجاة

لكن قبل الشروع بهذه الرحلة عزمت على زيارة منطقة أخرى صغيرة شمال شرق حوران التي تضم بحسب تقرير عام بعض الآثار المميزة. هذه المنطقة تسمى اللجاة[22]، ولها سمعة سيئة في دمشق بسبب العرب البدو الذين يسكنون فيها. لقد قمت ثلاث مرات بالترتيب مع أدلاء لمرافقتي، لكن في كل مرة كانت مخاوفهم تجعلهم يديرون ظهورهم لحظة المغادرة. بعد عناء وجدت أرمني كان سابقاً في خدمة الجزار باشا عكا[23]، حيث اتيحت له الفرصة ليتعود على الخطر نتيجة ذلك. ولما تجهزنا بشكل ممتاز غادرنا دمشق على ظهور الخيل في الثاني عشر من كانون أول (عام 1805) على الطريق إلى اللجاة. في اليوم الأول فقدنا الطريق وقضينا الليلة في قرية للمسلمين حيث تم استقبالنا كجنود للباشا. وتحت هذا المسمى تصرف دليلي بلسان السلطة، وفرض ذلك على سكان القرية الذين يخشون العسكر بشدة. وفي اليوم التالي سرنا على الطريق الرئيسي إلى حوران وفي اليوم الثالث تحولنا عن الطريق حال وصولنا أول قرى حوران وتبعنا الطريق إلى اللجاة.

لقد تزودت بوثيقة زور من عبد الله باشا؛ باشا دمشق[24]، أجبر من خلالها دليلي إبراهيم شيخ كل قرية مررنا بها على توفير فارس مسلح يرافقنا حتى القرية التالية. لقد كنا نحصل على الطعام طوال الرحلة على حساب السكان المحليين حسب عادات أهل المنطقة، الأمر الذي لم يمنع إبراهيم من إظهار غضبه عندما يكون الطعام المقدم دون المستوى الذي

(22) ناحية من نواحي حوران، تقع إلى الشمال الشرقي منها، حجارتها سوداء، وكما يتضح من الاسم فقد كانت ملجأ للقبائل العربية المتمردة في مختلف العصور. حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزءان الأول والثاني، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت– لبنان، 1951، ص45. سيشار إليه لاحقاً. حتي، تاريخ سورية ولبنان.

(23) هو أحمد باشا الجزار، كان نصرانيا بالولادة من أبناء بوسنيا، اقترف وهو صبي جرماً أخلاقياً، فر على أثره إلى القسطنطينية، وباع نفسه إلى نخاس يهودي، وانتهى أمره بعدئذ إلى علي بك في القاهرة فعينه جلادا، وقد أظهر أحمد من التفنن في إنفاذ مهمته، والرغبة في القيام بها، ما أكسبه لقب (الجزار)، وكان شديد الافتخار بهذا اللقب، وقد بلغ أوج مجده في عام 1799، على أثر فوزه بإيقاف زحف نابليون على عكا. حتي، تاريخ سورية ولبنان. ص337– 338.

(24) عبد الله باشا ابن علي أغا الخزندار، أحد مماليك أحمد باشا الجزار، تولى إمرة الشام في ثلاث أوقات مختلفة، عام (1205 هجري، 1791، 1214 هجري، 1799، 1219 هجري، 1804). المنجد، صلاح الدين، ولاة دمشق في العهد العثماني، دمشق، 1949، ص 90، اليسوعي، لويس معلوف، تاريخ حوادث الشام ولبنان، المطبعة الكاثوليكية للإباء اليسوعية، بيروت، 1912، ص 948، البيطار، عبد الرزاق، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار، عدد المجلدات ثلاثة، دار صادر – بيروت، 1993، مجلد ثلاثة، ص 948.

يظنه هو يليق به، ولقد تيقنت بأني اخترت رفيق جسور كان من الممكن أن تعرضني تصرفاته للخطر لولا اعتقاد السكان المحليين بأنه عسكري مسلم، الجزء الذي شاهدته من اللجاة مثل حوران مجرد بازلت ذو مسامية عالية في الغالب، ويشكل في العديد من المواقع صحاري صخرية. القرى الأقدم تقع على أطراف الصخور. ألوانها البازلتية السوداء والبيوت والكنائس والأبراج خرائب متهدمة، يرافق ذلك غياب تام للأشجار والخضروات مما يضفي عليها طابع الكآبة والحزن الأمر الذي يثير الخوف في النفس. وفي كل قرية تقريباً هناك نقوش يونانية أو أعمدة أو بقايا أثرية أخرى[25]. لقد نسخت نقشاً يعود للإمبراطور ماركوس اوريليوس أنتونيوس[26] من بين مجموعة من النقوش. المداخل هنا كما الحال في حوران مغلقة بأبواب من البازلت. ويوجد في اللجاة نصارى من الطائفة اليونانية كما هو الحال في سائر أنحاء الشرق. انطلقنا في السادس عشر من كانون أول عام 1805 إلى جراتا[27] Gerata التي هي عبارة عن قرية كبيرة مدمرة تقريباً وفيها بقايا أثرية من الفترة الرومانية خصوصاً من عهد أباطرة القسطنطينية. إن الطريق المؤدي إليها يمر من خلال أرض صخرية جرداء غير مزروعة نهائياً وفي وسطها هناك تجويف دائري عميق يشبه كثيراً فوهة بركاني يحيط بها بازلت أسود وذو مسامية. لقد كنا في ذلك التجويف الذي يحتوي على بعض الينابيع عندما شاهدنا عدد من الخيالة. أعتقدنا أنهم من البدو، وقد نصحنا دليلنا الفلاح والذي كان مع رأينا بأن نأخذ حذرنا. عند وصولنا إلى جيراتا وجدنا شيخ بدوي معه قوة صغيرة كانت تقيم هناك لبعض الوقت. استقبلنا ذلك الشيخ بحفاوة بالغة بعدما أظهرنا الوثيقة التي نحملها، وأمر بتجهيز وجبة ريفية بسيطة لنا رغم أنه شهر رمضان الذي يصوم فيه المسلمون عن الطعام حتى غروب الشمس. ولم ألبث أن استرحت من عناء السفر حتى لاحظت مجموعة من عشرة خيالة قادمون إلينا، حيث كانوا عسكر حاكم حوران والجولان واللجاة. لقد كانوا مسلحين بالسيوف والمسدسات والرماح وخناجر القتال. قالوا لي بطريقة متحضرة أنهم جاءوا لاعتقالي بأمر من سيدهم عمر آغا الذي لديه علم بأنني زرت ذلك الجزء من البلاد في الربيع الماضي مفترضاً بأن تصريحي قد يكون مزوراً وأنني جاسوس وبالتالي أعطاهم الأوامر بإيقافي وإحضاري إليه. خضعت للأمر دون قلق مع شيء من الكدر على خيبة الأمل مقتنعاً بأن تصريح سيده الباشا سيكون كافياً لسلامتي من كل مكروه. انطلقنا محاطين بخمسة فرسان وسرنا لمدة يوم ونصف إلى

(25) وهذا الأمر ليس بالغريب، فمعظم المدن والقرى التي استولى عليها اليونان الرومان تركوا فيها اثاراً باقية حتى الآن.

(26) ابن عم وصهر الإمبراطور الروماني انطونيوس بيوس (138 – 161)، تبناه هذا الأمبراطور بناء على رغبة الأمبراطور هادريان، امتد حمكه في الفترة ما بين (161 – 180)، وكان رجلاً فاضلاً، كرس حياته للأدب والفلسفة، ألف كتابه (تأملات) سجل فيه بالإغريقية أفكاره وأحاسيسه عن المسائل الأخلاقية والدينية. أوريليوس، ماركوس، التأملات، ترجمة: عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص 6 – 7.

(27) جنوب شرق دمشق وشمال شرق طوسطاس (طفس؟) على خارطة سيتيزن المرفقة في التقرير.

حوران حيث وجدنا عمر آغا في قرية طسطاس[28] Tostas بالقرب من مزيريب[29] على طريق الحج إلى مكة. استقبلنا في البداية بطريقة جافة لكن ما أن قرأ تصريحي حتى تغير أسلوبه وأصبحت حليفه ورافقني هو بنفسه لرؤية نقش يوناني في القرية.

في اليوم التالي كنت أرغب في مغادرة طسطاس والعودة إلى اللجاة، لكن إبراهيم رفض مرافقتي نتيجة محادثته في الليلة السابقة مع عمر آغا الذي أثارت نواياه الشكوك لدى إبراهيم. هذه المغامرة تسببت بفقداني للوقت الذي ادخرته لرحلة اللجاة فاستسلمت وبدأت بإلغاء خطتي. لقد وعد عمر آغا بأن يرافقني شيح القرية لكن شيخ القرية لم يأتِ وعندما بدأنا بفقدان رؤية القرية مر بنا فارسين على وجه السرعة. هذا الأمر كشف عدم الثقة، وتأكدت شكوكنا عندما شاهدنا وقت الظهيرة ثمانية فرسان عرب مسلمين أمامنا في مكان منعزل جداً، وجاء أحدهم إلينا على جواده ملوحاً برمحه. إبراهيم كان قد ترجل لتعديل وضع سرج فرسه. وأشار إلى أنه نادى علي لأكون حذراً عندما شاهد العربي قريب جداً وأنه صوب بندقيته نحوه وأمره بالتوقف. لقد كنت بعيداً جداً لأسمعه وكنت منشغلاً بمراقبة السبعة الآخرين من العرب الذين لم ألاحظهم حتى تلك اللحظة. توقف الأول قليلاً وغرس رمحه بالأرض متسائلاً متى أتينا وإلى أين نخطط الذهاب. وفي لحظة إخبار ابراهيم له بأننا جئنا من عند عمر آغا وأننا ذاهبون إلى دمشق أكملوا طريقهم ولم يتعرضوا لنا. من المحتمل أنّ نية عمر آغا أنّ نتعرض للسلب لكن رباطة جأش دليلي ربما أخافت قطاع الطريق. أخيراً عدنا إلى دمشق في العشرين من كانون أول.

مغادرة دمشق والشروع في رحلة الاستكشاف الرئيسية

لقد كان في نيتي حلم البدء برحلتي على طول الطرف الشرقي لنهر الأردن وحول البحر الميت وحتى القدس مباشرة بعد عودتي، لكنني أصبحت مقيداً بسبب صعوبة العثور على دليل ذي كفاءة. لقد تقدم العديد من الاشخاص لهذه المهمة لكن كان لدي ما يكفي من الأسباب لرفض خدماتهم. لقد وفر لي مستضيفي المحترم الطبيب الفرنسي السيد شابوشيا من قبل رفيقاً لي في رحلة اللجاة، ووجدته بعد المعاينة مناسباً جداً لهدفي. لكنه تردد لحظة شروعنا بالمغادرة

(28) قد تكون هي نفسها قرية طفس (Tafas)، والتي تتبع لناحية مزيريب، تقع في أطراف نقرة حوران الجنوبية الغربية، صلاح، أسماء الأماكن والمدن والقرى، ص 255.

(29) بلدة ومركز ناحية في هضبة حوران، تتبع مركز منطقة محافظة درعا، تقع على أطراف حوران الجنوبية الغربية، صلاح، أسماء الأماكن والمدن والقرى، ص 321.

وتراجع عن مرافقتي، لكن العرض المغري الذي قدمته له جعله يتراجع عن قراره ويعقد العزم على مرافقتي. يتوجب علي التحدث عنه مراراً في تتمة الرسائل لكن يجب أنْ أقدم نبذة مختصرة عنه أولاً. ولد يوسف الملقي حيث مازال يقيم في الحي المسيحي، وهو من الطائفة اليونانية. خلال الخمسين سنة من عمره تنقل مع تاجر دمشقي بين البدو من قبيلة عنزة[30] ومنذ ذلك الوقت يقوم بتجارته الخاصة به مع العديد من القبائل البدوية، وله على هذه الحال ما يقارب الثلاثين سنة. ولما كان على هذه الحال فقد حظي بفرصة زيارة معظم أجزاء المنطقة التي أنوي استكشافها الأمر الذي يؤهله لأنْ يقدم لي معظم الخدمات الضرورية.

غادرنا دمشق في التاسع عشر من كانون ثاني من عام 1806. وقد تألف متاعي بالكامل من بضع قطع من الملابس فقط وبعض الكتب التي لا غنى عنها، وبعض الدواء لإعطاء فكرة حقيقية عن شخصيتي المفترضة كطبيب، وطرد من الورق بدون صمغ لحفظ النباتات وبعض الحاجيات. ارتديت لباس شيخ بدوي من الصف الثاني وتسلحت ببندقية ومجند مسدس. أول منطقتين زرتهما في البداية كانتا راشيا والحاصبيا[31]، وهما الأقل معرفة في سائر أنحاء سوريا. حيث تقعا على السفح السفلي لجبل حرمون، الذي كانت قمته في ذلك الوقت مغطاة بالثلج وتعلو فوق سائر الجبال الأخرى في الجوار. يسمى الآن جبل الشيخ، ولم أتمكن بسبب الجو من صعود قمته لتفحص طبيعة الصخور التي يتشكل منها. إلّا أنه لدي سبباً للاعتقاد بأنه يتشكل من صخور كلسية مثل القمم الثلجية ضمن جبال لبنان وجبال لبنان الشرقية التي أجبرنا على عبورها في طريقنا إلى رشايد[32]. شاهدنا البحر الأبيض المتوسط من النقاط الأعلى على تلك السلسلة الجبلية، وبعد

(30) أكبر قبائل العرب، تنسب الى عنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد، وتمتد منازلها من نجد الى الحجاز فوادي السرحان، فالحماد، فبادية الشام، حتى حمص وحماة وحلب. كحاله، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الجزء الثاني، المطبعة الهاشمية بدمشق، 1949، ص 846 – 847.

(31) راشيا: يقع هذا القضاء في الطرف الجنوبي الشرقي من محافظة البقاع، تتخذ خارطته شكل مستطيل منكسر الأضلاع لا سيما من الغرب بحكم التداخل بين حدوده وحدود قضاء البقاع الغربي، ينحدر من الشرق إلى الغرب على سفوح السلسلة الجبلية الشرقية، وتتميز أرضه بالوعورة على وجه الإجمال. انظر: السيد، مصطفى، (مركز الأبحاث في معهد العلوم الاجتماعية– الجامعة اللبنانية ومشروع تحسين أحوال معيشة القراء في لبنان) أقضية لبنان، الخصائص السكانية، الواقع الاقتصادي والاجتماعي، قضاء راشيا (محافظة البقاع) بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2001، ص 13، أما قضاء حاصبيا فيقع أعلى الحدود الجنوبية اللبنانية في القسم الجنوبي الشرقي لمحافظة النبطية في السفح الغربي لجبل حرمون، مثلث الشكل تقريبا، رأس المثلث يتجه جنوبا، أحد الأضلاع يحاذي الحدود مع سوريا من جهة الشرق والجنوب الشرقي، ويعتبر حلقة الوصل بين لبنان والأردن وسوريا وفلسطين. انظر: السيد، مصطفى، (مركز الأبحاث في معهد العلوم الاجتماعية– الجامعة اللبنانية ومشروع تحسين أحوال معيشة القراء في لبنان) أقضية لبنان، الخصائص السكانية، الواقع الاقتصادي والاجتماعي، قضاء حاصبيا (محافظة النبطية) بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2001، ص 13، 17.

(32) إحدى القرى التي تتبع محافظة السويداء، تقع في السفح الشرقي لجبل العرب، صلاح، أسماء الأماكن والمدن والقرى، ص 191.

أن نزلنا الطرف الآخر من الجبل وصلنا إلى عشا[33] وهي قرية يقطنها الدروز والنصارى من الطائفة اليونانية. وجدت هناك آثار معبد روماني يتألف من عمود واحد فقط على الطراز الأيوني متقن جداً.

في مساء اليوم الثاني من الترحال وصلنا راشيا وهي قرية تقع على منحدر سحيق لأحد الجبال، وهي مقر اقامة أمير له سلطة تشمل أكثر من عشرين قرية أخرى وقد زرته في اليوم التالي. حبسنا المطر المستمر في الهطول لمدة يومين هناك. في الثالث والعشرين من كانون الثاني أكملنا في طريقنا إلى حاصبيا، على بعد خمس فراسخ[34] إلى الجنوب من راشيا. وكل الإقليم الذي تقع فيه هاتين المنطقتين جبلي جداً، ولا يوجد سوى القليل من آثار الزراعة. عند وصولي الي حاصبيا أنزت منزل الأسقف الإغريقي المحترم لصور أو صيدا والذي أحمل له رسالة توصية. هذه القرية أكبر نوعاً ما من راشيا لكنها تقع على سفح جبلي شديد الانحدار. ومعي رسالة للأمير الذي يدير المنطقة ويسكن قلعة ذات بناء جميل وقد زرته في اليوم التالي لوصولي. الجبال في المنطقة المجاورة معظمها جيرية، وفي أسفل التلال يمكن رؤية طبقات من Trap. إن المادة الأكثر شهرة في معادن المنطقة هي منجم للأسفلت على بعد فرسخ واحد جنوب غرب حاصبيا، وهو على جبل جيري ويعمل منذ قرنيين تقريباً. الإسفلت المستخرج منه يسمى الحمر ويستخدم هنا لحماية أشجار العنب من الحشرات، وغالبية المادة المستخرجة تصدر إلى أوروبا.

بعد يومين من وصولنا غادرنا حاصبيا قي طريقنا إلى بانياس المعروفة قديما باسم قيسارية فليبي[35]. هذه المدينة التي كانت مزدهرة جداً في الماضي مدمرة الآن وفوق آثارها قامت قرية صغيرة تتألف من حوالي عشرين كوخاً بائسة

(33) قد تكون هي نفسها قرية العشة الواقعة في الجولان على مسافة 3 كم شرق الخشنية، جنوب القنيطرة، رينيه، المسالك والممالك، ص 454، هامش رقم 6.

(34) الفرسخ يساوي ثلاثة أميال، والميل يساوي 1848 متر، وبالتالي فالفرسخ يساوي 5،544 كيلو متر. انظر: بن حسن حلاق، محمد صبحي، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، الطبعة الأولى، مكتبة الجيل الجديد، الجمهورية اليمنية – صنعاء، 2007، ص 64.

(35) بانياس Baniyas قرية سورية في هضبة الجولان تتبع ناحية مسعدة من محافظة القنيطرة، تقع عند النهاية الجنوبية الغربية لجبل الشيخ على مسافة 24 كم شمال غربي القنيطرة على الحدود السورية الفلسطينية. يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر 350م، وإلى جوارها آثار قديمة ومغارة ينبع منها نهر بانياس رافد نهر الأردن، وإلى الشمال منها على مسافة17 كم تقوم أطلال قلعة بانياس المعروفة باسم (الصُبيبة)، لهذه المدينة تاريخ قديم حافل يرجع إلى زمن الكنعانيين، ولكن أول ذكر لها باسم بانيون (Panion) أو بانيوم أو بانيس (Paneas) كان في العهد الهليني السلوقي، والاسم منسوب إلى بان (Pan) رب الرعاة عند الإغريق، وله معبد في غار في جوار القرية ينبع منه نهرها. وحين زار الأمبراطور الروماني أغسطس سورية وفلسطين سنة 20 ق.م، أقطع هيرودس الكبير مقاطعة بانياس، فقام هذا الأخير بتجميلها وتوسيعها وأقام فيها هيكلاً من المرمر لأغسطس، سماها ابنه فيليبُس قيصرية (Caesarea) ، فعُرفت باسم قيصرية فيليبي، ثم صار اسمها «نيرونياس» نسبة إلى نيرون، ثم صارت تعرف باسم قيصرية بانياس تفريقاً لها عن قيصرية (قيسارية) فلسطين، وبقي القسم الثاني من الاسم هو الغالب عليها، وفي القرن الرابع للميلاد غدت بانياس مقر أسقفية مقاطعة

سكانها من المسلمين. بقايا أسوار المدينة القديمة يمكن تمييزها بسهولة، لكن ليس هناك آثار باقية للمعبد الرائع الذي بناه هيرود العظيم تكريماً لأغسطس[36]. إنّ المنبع الغزير لنهر بانياس يخرج بالقرب من كهف مشهور نسخت من منحدرة بعض النقوش اليونانية المكرسة لبان وحوريات السبيل[37]. ضواحي بانياس مبهجة جداً خصوصاً لمحب الصيد؛ لأنّ فيها الفهود والدببة وأعداد هائلة من الخنازير البرية والغزلان والظباء والذئاب والضباع والأرانب البرية وغيرها. بحيرة فيالا[38] (Phiala) الصغيرة تقع على بعد فرسخين إلى الشرق من بانياس وتحمل الآن اسم بركة الرام[39]. قلعة بانياس التي تقع على قمة جبل شاهق بُنيت في عهد الخلفاء[40]. لقد أعطى القدامى اسم (منبع نهر الأردن) إلى العين التي ينبع منها

(فينيقية) الرومانية من ولاية سورية، واتخذها هرقل قاعدة لحشد جيوشه استعداداً لمعركة اليرموك، فتحها المسلمون سنة 15هـ/636 م وسكنها عرب من بني قيس فغدت مدينة ذات أسوار وقصبة للجولان من أعمال دمشق، وأقيمت القلعة على مقربة منها. ازدادت بانياس وقلعتها أهمية في زمن الحروب الصليبية، وأصبحت منطقة نزاع بين العرب والفرنجة، وغدت قاعدة متقدمة لقوات دمشق وجعلها الأتابك ظهير الدين طغتكين مقر قيادته سنة 505هـ/1111م حين تحرك لفك حصار الصليبيين عن صور، وتبادل المسلمون والفرنجة السيطرة عليها مدة من الزمن، ولم تلبث المدينة وقلعتها أن فقدتا أهميتها مع مرور الزمن فأهمل شأنهما وتقلصت المدينة إلى حالها اليوم ولحق الخراب بالقلعة فغدت أطلالاً. **حمدان، عبد المجيد، أهم المواقع الأثرية والانتهاكات الصهيونية للآثار في الجولان، مجلة جامعة دمشق، عدد خاص (الجولان)، 2013، ص 132. وانظر ايضا :** http://arab-ency.com.sy/detail/2107

(36) اسمه الحقيقي جايوس أوكتافيوس ابن اخ او اخت (على اختلاف المصادر) يوليوس قيصر العظيم، ولد سنة 62ق.م، وعندما وضع قيصر وصيته اتخذه ابنا له بالتبني تحت اسم اوكتافيان واعلنه وريثا لاقطاعياته، وبدا نجم أوكتافيان يلمع في سن الثامنة عشر واصبح بطل مجلس السناتو في حربه الساخرة التي يشنها على ماركوس انطونيوس، ومن الصعب ان نضع يدنا على الخصائص الشخصية لأغسطس إلا أنّ نشأته الريفية ربما كان لها أكبر الأثر في تعصبه الديني وامزجته الساذجة وكراهيته للتكلف، ومما هو جدير بالذكر ان كل مشروعاته البنائية الهائلة في روما لم يكن من بينها بناء قصر له حكاكم وانما اكتفى ببيت متواضع، ومات عن 76 عام بعد أنْ حكم العالم أكثر من 45 عاماً أحدث خلالها من التغييرات ما ظل بعده زمناً طويلاً وجعله في عداد الخالدين. انظر: الشيخ، حسين، الرومان، (لا يوجد رقم طبعة ولا اسم دار النشر)، 1989، ص 77 – 79، وانظر أيضًا: أيوب، إبراهيم رزق الله، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، الطبعة الأولى، 1996، ص 235 – 257.

(37) بان (Pan) معبود يوناني – روماني يختص بالبراري والرعاة والقطعان، وهو رفيق الحوريات.

(38) هذا الاسم ورد عند المؤرخ اليهودي جوسيفوس. ..... The Jordan and its sources ... Art – 11– on the lake Phiala يجب مراجعة هذه المقالة

(39) تقع هذه البركة في شمال مرتفعات الجولان إلى الغرب من قرية مسعدة، وقد تشكلت نتيجة انفجار بركاني عظيم، امتلأت بعد ذلك بالمياه الجوفية. انظر: مصطفى، خليل، سقوط الجولان، ص 39، وانظر ايضا: http://esyria.sy/sites/code/index.php?site=qunaytra&p=stories&category=round&filename=201007201040011

(40) تشغل القلعة جرفاً صخرياً متطاولاً فوق هضبة عالية في لحف الجبل تزداد ارتفاعاً باتجاه الشمال وتواجه دفاعاتها الرئيسية الجبال من الشمال. طولها من الشرق إلى الغرب نحو 435م ويراوح عرضها من الشمال إلى الجنوب بين 75 و165م. تتألف القلعة من معقل رئيس مرتفع في الجهة الشرقية يسمى «القِلَّة» أو «القليعة» وهي على هيئة برج محصن محاط بفناء صغير مسوَّر، ومن قلعة سفلية تضم بقية أجزائها ويحيط بها جميعاً سور ساتر. وقد تطلبت الانحدارات المتواضعة لسفوح الجبل من جهة الجنوب إقامة أقوى التحصينات في القلعة، فشُيدت على هذا الجناح ستة أبراج مستطيلة مدمجة في السور تبرز عنه قليلاً وشيد برجان دائريان حصينان للدفاع الجانبي، أما الجناح الشمالي فيتمتع بحماية طبيعية على ريف صخري شديد الانحدار لا يحميه سوى سور قليل الارتفاع غير منتظم يتماشى مع حافة الهضبة، وأما الجهة الغربية فحصنت بسور طوله 165م مزود بأربعة أبراج مربعة ومستطيلة تبرز عن السور مسافة 7 .10م.انظر : فينر، فولفغانغ مولر، القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة:

بانياس. وجمالها يؤهلها لتحمل ذلك الاسم، لكن في الحقيقة يبدو أنّ الأفضلية تعود إلى نهر حاصبيا الذي ينبع على بعد نصف فرسخ إلى الغرب من حاصبيا، والذي يشكل الفرع الأكبر من نهر الأردن. أما عين تل الكادي[41] والتي يعتبرها السكان المحليين مصدر نهر الأردن فهي الأقل استحقاقًا للاسم.

غادرنا بانياس في التاسع والعشرين من كانون ثاني ومررنا بالعديد من روافد نهر الأردن الصغيرة حتى نصل الضفة الغربية، لكن بعض الظروف المحددة والتي سأسردها لاحقاً حالت دون استكشافي للضفة الغربية حتى الجسر المدعو جسر بنات يعقوب[42]. الجبال المجاورة في هذا المكان تشكل وادي كبير، لكنه بالكاد مزروع ويسمى الحولة وفي وسطه بحيرة موحلة تحمل اسم بحيرة الحولة[43]، وهي نفسها بحيرة ميرون أو ساماكونيتس كما يسميها القدامى[44]. يرتاد شواطئها عدد كبير من الخنازير البرية وقد أشعل الصيادون النار في نبات القصب المحيط بها، ويمكن مشاهدة لهب النار في الليل. لقد قضينا تلك الليلة واليوم التالي في خيام قرية سكانها من البدو المسلمين يجوبون البلاد مثل العرب البدو، لكنهم في نفس الوقت يمارسون الزراعة. أرسلت من هناك سائقي البغال الذين رفضوا مطلقاً مرافقتي إلى جسر يعقوب خوفاً من أن يخسروا بغالهم، لكن ما فاجأني أكثر هو تصرف يوسف الذي لا يستطيع مرافقتي إلى الضفة الشرقية من الأردن وإلى بحيرة طبريا؛ حيث إنّ لديه زوجة وأطفال بحاجة لرعايته ومساعدته وأنه إذا أصريت على خطتي فإنه كان مصمماً على تركي والعودة إلى دمشق. لم يكن لدي خيار سوى أن أتخلى عن خطتي أو أخسر دليلي ولم يبق بديل سوى أن أرسله

محمد وليد الجلاد، سعيد طيان، دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية، 1984، ص 52 – 53، وانظر أيضا، http://arab-ency.com.sy/detail/2107

(41) قد يكون نهر اللدان.

(42) يقع هذا الجسر على بعد كيلو ونصف تقريباً جنوبي الحولة، وما يقارب 22 كم عن مدينة صفد، يبعد عن الحدود السورية مسافة 200 متر، والمسافة بينه وبين طبرية 37 كم، يبلغ طوله 80 قدم، وهم البعض بان الجسر قديم جدا، وان النبي يعقوب عبر الأردن من فوقه وهو في طريقه إلى خاله لابان في شمالي سورية، ولذلك نسب اليه وإلى بناته، وظن آخرون بأن هذه التسمية تعود إلى مقتل بعض اليعقوبيين عليه في الحروب الصليبية، والمعلوم أنّ صلاح الدين كان قد انشا جسرا في هذا المكان، ثم جدده الظاهر بيبرس، وأمّا الجسر الحالي فقد أقيم على الجسر الذي كان قد جدد بناؤه في أواخر القرن السادس عشر. بلادنا فلسطين، الجزء الأول – القسم الأول، دار الهدى، كفر قرع، 1991، ص 76، وانظر في نفس الكتاب الجزء السادس – القسم الثاني، ص 58. سيشار إلى الكتاب لاحقا: الدباغ، بلادنا فلسطين.

(43) يذكرها الحموي في معجمه بأنها (كورة بين بانياس وصور من أعمال دمشق ذات قرى كبيرة)، الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البدان، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، ص 323. سيشار إلى الكتاب لاحقا: الحموي، معجم البلدان، وقد عرفها الكنعانيون باسم (مياه ميروم) بمعنى المياه المرتفعة، وعنهم أخذ اليهود الاسم المذكور، يقع سهل الحولة في الزاوية الشمالية الشرقية من فلسطين، ويؤلف آخر غور الأردن من الشمال، تحيط به من الغرب جبال الجليل ومن الشرق هضبة الجولان. الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الأول – القسم الأول، ص 66 – 68، وانظر الجزء السادس – القسم الثاني، ص 37 – 38.

(44) ورد ذكر هذا الاسم عند الرومان. الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الأول – القسم الأول، ص 66، وانظر ايضا: جونز، مدن بلاد الشام، ص 104.

إلى طبريا لينتظرني هناك عبر الطريق السريع (الأقصر)، وانطلق لوحدي باتجاه جسر يعقوب لعلي أجد الفرصة في العبور إلى الجزء الشرقي من نهر الأردن. لقد سلمت نقودي وساعتي ومسدسي إلى يوسف، ولم أحتفظ إلا برزمة من الورق للاحتفاظ بالأعشاب وبندقيتي. على هذا الحال بدأت رحلتي على الأقدام في الحادي والثلاثين من كانون ثاني برفقة دليل بدوي نصحني به شيخ القرية البدوية. الطريق يمتد دائماً على طول الضفة الغربية لبحيرة الحولة وعلى امتداد جبال جيرية شاهقة. على مسافة من الجسر التقينا بمجموعة من البدو الذين كانوا ربما سيسلبونني لو لم يكن دليلي موجوداً. الجسر على نهر الأردن مبني من حجارة بازلتية وفي حالة ممتازة. النهر في ذلك المكان عرضه يقارب من 35 خطوة. على الجانب الشرقي من النهر يمكن رؤية خان تم تدميره بالكامل تقريباً فترة الغزو الفرنسي لسوريا.

لقد وجدت هناك حامية صغيرة معها جامع للرسوم التي تستوفى عند عبور الجسور وقضيت الليلة هناك. لم يكن لدي سوى القليل من الأمل في العثور على شخص في هذا المكان قد يرافقني كدليل حيث إنّ الكل يخشى البدو ولا أحد يرغب في المخاطرة ببغله أو فرسه. الحظ الطيب في المقابل جاء برجل بدوي إلى المكان الذي كنت فيه حيث طلب مني الذهاب معه لرؤية شيخ بعد أنْ عرف بأنني طبيب؛ نظراً لإصابة ذلك الشيخ بالرمد، حيث يقطنون على الضفة الشرقية لبحيرة طبريا. لقد قررت انتهاز الفرصة التي أتيحت لي عازماً على محاولة أي شيء بدلاً من التخلي عن مهمتي. لذلك وضعت نفسي تحت تصرف هذا الغريب. لقد كانت المنطقة التي عبرناها برية وجبلية ومعظمها تتشكل من البازلت. لقد كانت تمثل الحد الغربي لمنطقة الجولان. بعد السير لمدة ساعتين تقريباً وصلنا إلى قرية صغيرة نائية حيث يعيش دليلي حسين وهناك قضينا الليلة. في اليوم التالي أحضر لي حصان مقابل المال القليل المتبقي معي وأكملنا رحلتنا.

لقد حصلت على مشاهدة رائعة جداً لبحيرة طبريا من الأرض المرتفعة التي كنا نسير عليها. بعد فترة مررنا بالقرية الصغيرة المعروفة باسم Tallanihe التي من المحتمل أنها جولياس (Julios) القديمة[45]، والتي تقع على طرف سهل خصب وصغير يمتد حتى البحيرة، ويبدو أنّه يدين بنشأته لنهر الأردن. شاهدت في القرية نفسها عدد كبيراً من نبات

(45) ذكرها كل من يوسيفوس وبلينيوس في تواريخهم على أنها من المدن التي تحيط ببحيرة طبرية من جهة الشرق، يوسيفوس والجزيرة العربية، ص 84، بلينيوس والجزيرة العربية، ص 58، وهي على الأغلب مدينة تل الرامة التي تقع على بعد عشرة كيلومترات شمال البحر الميت وشمال شرقيه، يوسيفوس والجزيرة العربية، ص 84 – 85، هامش رقم 3، وانظر أيضاً: جونز، مدن بلاد الشام، ص 90.

الألوة[46] الذي ينبت هناك في الهواء الطلق الأمر الذي لم ألاحظه من قبل. من هنا سرنا باتجاه الشرق عبر طريق قادنا إلى الضفة الجنوبية لوادٍ يسمى وادي سمَّاك[47] وهو عميق إلى حدٍ ما في هذا الموسم لكنه جاف بشكل كامل في الصيف. شاهدت هنا بعض الخيام وفي أحداها وجدنا الشيخ المريض. أُستقبلت بالطريقة البدوية وبدأت فوراً بفحص عيون الشيخ لكنني اكتشفت أن عدسة العين معتمة بالكامل الأمر الذي يستحيل معه علاجها دون تدخل جراحي. لقد أجبرني الوضع الذي كنت فيه على التظاهر لذلك أعطيته بعض الآمال السارة. قال لي: "إذا أعدت بصري سأعطيك الحصان الذي تركبه هدية". لم تكن بالتأكيد هدية عظيمة جداً، لأن الفرس كان حيواناً مثيراً للشفقة حيث استطعت بصعوبة بالغة جداً جعله يهرول. على أية حال شكرت الشيخ وأكدت له بأنني لا أريد أي مقابل سوى أنْ يسمح لي بالذهاب على امتداد الضفة الشرقية للبحيرة حتى طبريا، عبر الطريق الذي من خلاله كنت متلهف للبحث عن بعض النباتات. قلت له أعطيني حسين كدليل وكن مطمئناً بأنني سأعطيه الدواء عند وصولي إلى طبريا حيث ستستعيد بصرك بمشيئة الله. لقد بدا أن الشرط الأول أزعجه لكن أخيراً وعدني بتلبية طلبي. امتطيت صهوة جوادي في الصباح التالي وانطلقنا سوياً. بعد نصف ساعة من المسير أدركت بأننا نتبع طريقنا باتجاه Tallanihe (تل الرامة) وتذمرت من ذلك لحسين، وهذا كل ما أستطيع فعله حيث إنّه استحوذ على بندقيتي في الصباح بحجة توفير الحماية الكاملة لي. كما أن بدوياً آخر بدين جداً تواجد معنا لذلك فإن مقاومة الأمر كان أمراً لا فائدة منه.

بحيرة طبريا ومحيطها

اجتزنا نهر الأردن قرب قرية وسرنا على طول حدود بحيرة طبريا. اجتزنا على مسافة قصيرة من خان بيت زيد[48] Beit-Zeide جدول ماء كان ماؤه مالحاً. توقفنا بالقرب من الخان الذي لم يكن مسكوناً وعبارة عن أثر تقريباً. أضاع حسين عباءته وبذريعة البحث عنها آخذ فرسي وبندقيتي وعاد على أعقابه مباشرةً وتركني وحيداً تماماً؛ لأن البدوي الآخر وزوجة الشيخ المريض الذين كانوا معنا غادروا أيضاً. انتظرت لبعض الوقت بدون فائدة وقد كنت على بعد ثلاثة فراسخ من

(46) شجرة من الفصيلة المازريونية، وفصيلة الألنجوجية، له عود راتنجي، إذا أحرق سطعت له رائحة جميلة، وكثيرا ما يخلطون عود هذا النبات بعود نبات آخر من الفصيلة القرني، ويسمى ايضا العود الهندي او الند. https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%88%D8%A9/

(47) وادي سمك أحد الأودية التي تصب في بحيرة طبرية من الناحية الشرقية. انظر: الدباغ، بلادنا فلسطين، انظر: الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الأول – القسم الأول، ص69، الجزء السادس – القسم الثاني، ص 276، وانظر ايضا: رينيه، المسالك والممالك، ص 457.

(48) لا يوجد معلومات عن هذا الخان.

طبريا والمنطقة غير مسكونة ومعزولة والسهل الصغير الممتد من هنا وحتى طبريا تغطيه الأدغال اقترب الليل فاقتنعت أن حسين تركني غدراً ولم أفكر إلا بالخروج من هذا المكان المليء بالمخاطر. مع تقدمي قليلاً كنت على وشك أن أقع بأيدي أثنين من البدو الذين كانوا مختبئين في الأدغال لكنني لحسن الحظ أفلتت منهم ووصلت بعد ساعة من غياب الشمس إلى قرية المجدل[49] المسلمة الصغيرة، والتي تقع على ضفة البحيرة حيث أمضيت الليلة هناك. وفي صباح اليوم التالي وصلت سعيداً إلى طبريا ووجدت هناك دليلي السابق يوسف الذي ينتظرني لعدة أيام وقد انتابه الشعور بالقلق خوفاً على سلامتي.

تقع بلدة طبريا على مقربة من ضفاف البحيرة التي تحمل أسمها ويحيط بها من اليابسة جدار قوي من حجارة البازلت المقطوعة ومع ذلك فهي بالكاد تستحق لقب بلدة. ليس هناك أي بقايا لروعة ماضيها، إلا أنه هناك آثاراً للبلدة القديمة يمكن اكتشافها حيث تمتد بعيداً حتى الحمامات الحارة على بعد فرسخ باتجاه الشرق. بنى الجزار باشا المشهور (جمال)[50] حماماً على أحد العيون الرئيسية في المنطقة، ولو كانت هذه الينابيع في أوروبا فسيتم تفضيلها على جميع العيون الأخرى. الوادي الذي تقع في وسطه البحيرة يساعد من خلال تركز الحرارة في زراعة أشجار النخيل والأترج والبرتقال والنيلي (تستخرج منه صبغة نبات استوائي) وغيرها. بينما الأرض المرتفعة في الجوار ملائمة لزراعة الأشجار التي تحتاج إلى مناخ معتدل. لكن الوضع الحالي للأمور فإنّه لا يمكن لأحد إلا العثور على بقايا بعض الفواكه الملائمة للمناطق المشمسة على حافة البحيرة. البحيرة تزخر أيضاً بالسمك لكن لم نعثر سوى على قارب صيد واحد في طبريا وهو بحالة سيئة تقريباً. فالذي يصطاد السمك من البحيرة يستخدم شبكته فقط على ضفاف البحيرة.

في السادس من شباط (1806) تابعنا رحلتنا وتبعنا ضفاف البحيرة حتى نهاية طرفها الجنوبي الذي يقع إلى الغرب من البلدة القديمة لتاريخايا[51] (Tarichaea) المشهورة بسمكها المملح ومكانها محدد بالضبط على خارطة

---

(49) تقع هذه القرية على ساحل بحيرة طبرية الغربي على بعد خمسة كيلومترات شمال مدينة طبرية. الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء السادس – القسم الثاني، ص 370. (انظر هامش رقم 49)

(50) على ما يبدو أن المقصود هو أحمد باشا الجزار، وقد أشرنا اليه سابقاً.

(51) تقع هذه المدينة جنوب بحيرة طبرية، (والبعض يطلق هذا الاسم على البحيرة نفسها)، بلينيوس والجزيرة العربية، ص 58، في حين يرى بعضهم الآخر أنّها تقع إلى الشمال من البحيرة، بلينيوس والجزيرة العربية، ص 58، هامش رقم 4، في أما الدباغ في كتابه بلادنا فلسطين فيشير إلى أن هذه المدينة هي نفسها مدينة المجدل، الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء السادس – القسم الثاني، ص 370. arichaea (Greek: Ταριχαία Tαριχέα) is the Greek place ، alternative spellings Tarichеæ/Tarichaeae/Tarichee; Tarichese; Tarichess،or and mentioned in the writings ، formerly situated along the shore of the Sea of Galilee،name for a historic site *et al.*). Tarichaea was one of the first ،of Josephus (*Ant*. 14.20; 20. 159; *The Jewish War* 1. 180; 2. 252; *Vita* 32 during the First Jewish-Roman War،villages in Galilee to have sustained an attack by Rome https://www.researchgate.net/publication/233485798_The_Location_of_Tarichaea_North_or_South_of_Tiberias

البروفيسور بولوس)؛[52](M. Paulus). بعض الآثار وبعض الجدران لا زالت موجودة والمكان مازال يحمل اسم الملاحة أو أرض الملاحة وهي مرادفة للاسم اليوناني تاريخايا. لاحظنا على أطراف البحيرة فراغاً كبيراً من الأرض لا نبات فيه تغطيه في الصيف طبقة من الملح، وسكان تاريخايا ربما يستخدمون هذا الملح لتقديد كميات السمك التي تزودهم به البحيرة ونهر الأردن. يبدأ هنا سهل الغور الجميل الذي يشبه كثيراً سهل البقاع بين جبال لبنان وجبال لبنان الشرقية ماعدا أن سلاسل الجبال التي تحيط به ليست شاهقة مثل الجبال التي تحيط بسهل البقاع. هذا السهل من الغور فيه القليل من المزروعات وليس فيه أي قرى سوى العرب البدو الذين يتنقلون بخيامهم من مكان إلى آخر. وعلى مسافة معينة إلى الجنوب من الملاحة هناك جسر قديم على الضفة الشرقية لنهر الأردن[53]. بعد مسيرنا لبعض الفراسخ عبرنا شريعة المناذرة[54] من خلال جسر له خمسة أقواس حيث يصب وادي الشريعة بعد جريانه في مجرى من البازلت في نهر الأردن. وصلنا بعد نصف فرسخ عن المكان إلى جسر المجامع المقام على نهر الأردن والذي يوجد إلى الغرب منه خان كبير جداً وفيه حانة صغيرة[55].

ومن الضروري الملاحظة هنا أن نهر شريعة المناذرة هو نفسه الذي يسمى هيراماك او يرماك (اليرموك)، والذي وُضع مجراه بشكل خاطيء على خارطة مووس بولوس؛ حيث إنّه لا يصب في بحيرة طبريا بل في نهر الأردن على بعد بعض الفراسخ أسفل الطرف الجنوبي للبحيرة. بعض التصحيحات الجغرافية ستجدونها من خلال سير رحلتي. رجعنا إلى الجزء الجنوبي من البحيرة دون عبور جسر المجامع وأمضينا الليلة في قرية مسلمة. في اليوم التالي جعلنا مسيرنا جنوب قرية فيك[56] Phik التي تقع على الضفة الشرقية لبحيرة طبريا في منطقة الجولان. ولأن هذه القرية أُقيمت على ربوة مرتفعة

(52) لم يتوصل الباحثان إلى معلومات عن هوية هذا الشخص الذي يبدو أنه جغرافي؛ نظراً لقيامه برسم خارطة للمنطقة أشار لها سيتيزن عد مرات.

(53) تقع هذه البلدة في الركن الشمالي الغربي لبحيرة الحولة، بلادنا فلسطين، الجزء السادس – القسم الثاني، ص 164.

(54) إحدى معاني الشريعة في اللغة العربية (مورد الماء)، اما نهر اليرموك فقد ذكره بلينيوس باسم هيروميكس (Hieromix)، بلينيوس والجزيرة العربية، ص62، وقد سمي باسم شريعة المناذرة نسبة الى إحدى قبائل المنطقة التي سكنت في المكان، ينبع هذا النهر من قرية مزيريب، ويعتبر أحد روافد نهر الأردن.

(55) يقع جسر المجامع على بعد 21 كم تقريبا جنوب مدينة طبرية الدباغ، ج1، ص 76.

(56) قال عنها الحموي في معجمه (فيق مدينة بالشام بين دمشق وطبرية، ويقال أفيق بالألف) الحموي، معجم البلدان، مجلد 4، ص 286، تقع إلى الشرق من بحيرة طبرية، في الظاهر الشمالي الغربي من الواقوصة، على مسافة خمسة كيلومترات جنوب القنيطرة. الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء السادس – القسم الثاني، ص13، هامش رقم 3، ص 161، رينيه، المسالك والممالك، هامش رقم 7، ص 454، ويرد اسمها في المصادر اليونانية بصيغة افيكا Ἀφεκά (Avi-Yonah 1976: 29).

فقد أجبرنا على صعود جبل وعر وجدنا على قمته خان قديم يسمى خان العقبة فيك. إن مقارنة بيئة هذا المكان مع الوصف الخلاب ليوسيفوس[57] في كتابه " تاريخ حرب اليهود مع الرومان" جعلتني اعتقد بأنه من الممكن أنْ يكون هذا مكان بلدة جمالا[58] Gamala التي دافعت عن نفسها بصلابة كبيرة ضد الرومان. على خارطة بولوس وُضعت بلدة جمالاً على الطرف الجنوبي لشريعة مناذرة الأمر الذي أظنه خطأ إذا كان حدسي صحيحاً. قرية فيك Phik قريبة من وسط البحيرة، وكما هو الحال خلال زيارتي للشيخ الأعمى فلم يكن بيني وبينها سوى بضعة فراسخ وقد أنتهيت الآن من التخطيط لزيارة الضفة الشرقية.

لم أتمكن من الحصول على أي معلومات حول هيبوس[59] إحدى البلدان التي بناءً على خارطة بولوس يجب أن تقع على مقربة من فيك Phik. وبنفس الدرجة لم أكن موفقاً فيما يخص كابتولياس وبيلا (بيت راس وطبقة فحل)[60].

Avi-Yonah, M. (1976): *Gazetteer of Roman Palestine*, Qedem 5, Institute of Archaeology, Hebrew University of Jerusalem.

(57) هو المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس، وكان اسمه حين ولادته (يوسف بن متيتياهو) (Yosef ben Matityahu)، ولد لأسرة كهنوتية في السنة نفسها التي حكم فيها الإمبراطور الروماني جايوس قيصر (Gaius Caesar) (37 – 41م)، وهو سليل أسرة الملوك الحشمونيين (Hasmonaean) لنسل أمه، حظي بتعليم عال في المدرسة الدينية الحبرية/ الربانية (Rabbinic School) في القدس، وقد كان طالبا نجيبا، ولما بلغ عامه السادس عشر انضم إلى الطوائف اليهودية المختلفة التي وجدت في المجتمع اليهودي آنذاك، تزوج ثلاث مرات، وأنجب ثلاثة ذكور من زواجه الثاني، وولدين من زواجه الثالث، تأرجحت علاقته مع الرومان بين الرضا والعداوة إلى أن نال بالنهاية رضا الإمبراطور الروماني فسباسيانوس واتخذ لقب فلافيوس (Flavius)، ألف العديد من الكتب، من أهمها كتاب (حروب اليهود) (Wars of Jews) وكتاب (تاريخ اليهود القديم) (Antiquities of the Jews). متى، يوسف، يوسيفوس والجزيرة العربية (من ضمن سلسلة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية)، ترجمة وتعليق: إبراهيم السايح وفتحية بنت حسين عقاب، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 2017، ص 25 – 28، سيشار إلى هذا الكتاب لاحقا: يوسيفوس، يوسيفوس والجزيرة العربية.

(58) منطقة تقع جنوب الجولان، على الجانب الشرقي من نهر الأردن، وكانت مسرحا لكثير من الأحداث التي يشير إليها المؤرخ اليهودي يوسيفوس، ودارت فيها الكثير من الصراعات بسبب حصانة موقعها ومنعتها، يوسيفوس، يوسيفوس والجزيرة العربية، ص172، هامش رقم 2. ويضيف مترجم كتاب المسالك والممالك السابق ذكره أنّ مدينة جمالا تقع فوق تلة صخرية لها شكل سنام الجمل، تقع في شمال شرق طبرية. رينيه، المسالك والممالك، ص 458، هامش رقم 6. هي جامالا الواقعة ضمن مرتفعات الجولان (Avi-Yonah 1976: 58).

(59) هيبوس (Hippo): إحدى مدن الديكابوليس، تقع الى الشرق من بحيرة طبرية (بناء على رأي بلينيوس)، يوسيفوس والجزيرة العربية، ص 48، 65، 76، بلينوس والجزيرة العربية، 58، 62، 134، بطليموس والجزيرة العربية، ص 65، وهي مثار جدل بين الباحثين، فمنهم من اعتبرها أنّها مدينة الحصن الواقعة شمال اربد، وذهب اخرون الى انها مدينة سوسية، فيما اشار البعض الاخر الى انها (قلعة الحصن) الواقعة في نواحي طبرية، لمزيد من المعلومات انظر: رينيه: المسالك والممالك، ص 29، 452، 454، 455، 458، 459، 461، 462، وانظر أيضا: جونز، مدن بلاد الشام، 59، 63، 65، 66، 84، 86، 87، 100. وقد جاء في التعليق على الملاحظة E الواردة في صفحة 25 في تقرير ستيزن أن فيق هي نفسها هيبوس القديمة.

(60) بيت راس (كابيتولياس) (Capitolias)، إحدى مدن الديكابوليس، بطليموس والجزيرة العربية، ص 65، تقع على بعد خمسة كيلومترات شمال مدينة إربد، كشفت الحفريات الأثرية التي جرت فيها أنها كانت مسورة، وشهدت ازدهاراً في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وكشفت فيها كذلك عن مدافن رومانية ومدافن بيزنطية ومعصرة زيتون، إضافة إلى انتشار الكثير من آبار المياه والبقايا المعمارية القديمة فيها. http://arab-ency.com.sy/artifacts/detail/166050 ، أما مدينة طبقة فحل (بيلا) (Pella)، فهي كذلك من مدن الديكابوليس، يوسيفوس والجزيرة

عندما كنت في قرية فيك Phik كنت أفكر بقلق في زيارة مكيس (أم قيس) الواقعة على جبل كبير على الطرف الجنوبي لشريعة منادره (اليرموك)، لكن كان من المستحيل الحصول على رفيق نظراً للخوف الشديد لدى السكان المحليين في المنطقة من البدو. السكان المحليون هنا على علم باماثا[61] وقالوا بأنها كانت مكاناً أثرياً في وادي شريعة مناذرة على بعد ثلاثة فراسخ من فيك Phik . قررنا الذهاب لزيارة منطقة البوتثين[62] (el – botthin) التي يفصلها شريعة مناذرة عن منطقة الجولان، لكن منسوب النهر كان مرتفعاً جداً بسبب المطر وكان من المستحيل عبوره حيث لم يكن هناك جسر. لذلك أُجبرنا على تأجيل رحلتنا حتى الثاني عشر من شباط حيث توجهنا صوب البقعة التي يصب عندها نهر روشات[63]؛ الذي ينبع من الشمال، في شريعة– مناذرة. عبرنا النهرين وقام يوسف الذي كان خائفاً من سرعة تيار الماء بالدعاء بحماسة شديدة للعذراء المقدسة.

عبور نهر اليرموك واستكشاف منطقة الديكاوبولس

وصلنا بأمان إلى الشاطئ المقابل وأُستقبلنا بحفاوة من قبل مجموعة من البدو. بعد ذلك سرنا عبر أدغال كثيفة من أشجار الزان ووصلنا في الخامس عشر من شباط إلى قرية الحصن[64] حيث أقمنا عند نصراني من الطائفة اليونانية.

العربية، ص 48، 51، 137، بلينيوس والجزيرة العربية، ص 62، بطليموس والجزيرة العربية، ص 66، تقع في الغور الشمالي لوادي نهر الأردن شرقي بلدة المشارع بحوالي كيلومتران، شهد الموقع استيطانا منذ العصور الحجرية القديمة حتى الآن، ساعد في ذلك موقعها الجغرافي المميز وتدفق الينابيع على مدار العام، ويبرز في الموقع معبد من العصور لبرونزية، ومدرج روماني، وكنائس بيزنطية، وتجمعات سكنية، رومانية وبيزنطية واموية وعباسية، ومدافن من فترات مختلفة. ملحم، إسماعيل، النتائج الأولية للتنقيبات الأثرية في طبقة فحل 2007 – 2008، (الكنيسة الغربية والمدرج)، حولية دائرة الآثار العامة 53 (2009)، ص13.

(61) وصفها يوسيفوس بأنها (أقوى كل القلاع حول الأردن) يوسيفوس، يوسيفوس والجزيرة العربية، ص37، تقع بالقرب من بحيرة طبرية، شمال ام قيس، رينيه، المسالك والممالك، ص 324 – 325، 455.

(62) ربما يكون الاسم العربي القريب لها مشتق من كلمة (بثن)، وهناك عدة احتمالات بخصوص الاسم، فربما يكون له علاقة مع اسمي בותני و בותנן الواردين في المصادر الترجوميَّة وفي التلمود للإشارة إلى باشان التوراتيَّة، وقد ذُكرت البثنيَّة/ البثنة في عدد من المصادر العربيَّة كقرية بين دمشق وأذرعات السلامين، زياد والقنانوة، إخلاص (2021): **الطوبونيميا النبطيَّة: دراسة في أسماء المواقع الجغرافيَّة في ضوء المصادر التاريخيَّة ومخطوطات البحر الميّت**، مطبعة السفير، عمَّان، ص 52.

(63) حسب معلومات وخارطة سيتيزن هذا النهر أو الجدول ينبع من مصدر شمال نهر اليرموك ويتجه جنوباً ليصب في اليرموك، وقد ورد اسمه في النص مرتين باسم Roshad ومرة باسم Roshat.

(64) من قرى محافظة اربد، وهي مركز اللواء، تقع إلى الجنوب من مدينة اربد. الرواضية، المهدي عيد، مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن وقراه، منشورات اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، الجزء الأول، ص 416، سيشار إلى هذا الكتاب لاحقا: الرواضية، مدونة النصوص الجغرافية.

لقد نويت زيارة البلدة القديمة المسماه الآن درعا ومدينتي الديكابولس أبيلا (القويلبة)[65] وجدارا[66]. أول هذه الأماكن – درعا – تُذكر بشكل متكرر في الكتاب المقدس العبري كواحدة من أهم البلدان في منطقة ملك باسون[67] (Bason) الذي كان في زمن موسى يقطن في عشتارون (Ashtroth) ، بصرى حالياً[68]. لكن المنطقة خالية من العرب البدو لدرجة أنني لم أستطع الحصول لا على فرس ولا بغل ولا حمار. وحتى يوسف أخبرني للمرة الثانية بأنه لن يستطيع المغامرة بالذهاب معي. ولم يكن الأمر بدون صعوبة بالغة حتى وجدت أخيراً دليل، ولكي أحافظ على المعطف الوحيد الذي أملكه لظهري، والذي لن يدّخر البدو جهداً في الحصول عليه وجدت نفسي مجبراً على استخدام حيلة غريبة بما فيه الكفاية، وهي أن أغطي نفسي بخرقة من القماش من أجل التمويه، لأبدو بمظهر الشحاذ المألوف. لا شيء معي قد يثير طمع البدو. لقد ارتديت فوق ثوب النوم_الجمباز[69]، وفوق غيار خشن وغطيت رأسي ببعض قطع القماش وأقدامي بنعال قديم. كتفي غطتهما عباءة قديمة لتحميني من البرد والمطر واتخذت من فرع شجرة عصا أتوكأ عليها عند المشي. دليلي، نصراني من الطائفة اليونانية، ارتدى تقريباً نفس اللباس وتجولنا هذه المرة في المنطقة خلال عشرة أيام، ولم يوقفنا سوى الأمطار الباردة

(65) أيلا (Abila)، قويلبة، إحدى مدن الديكابوليس، بلينيوس والجزيرة العربية، ص 63، تقع في محافظة إربد إلى الشرق من بلدة حرثا، عرفت في المصادر الإسلاميّة باسم (ابل الزيت). الرواضية، مدونة النصوص الجغرافية، الجزء الأول، ص 59.

(66) جدارا (Gadara)، أم قيس، إحدى مدن الديكابوليس، بلينيوس والجزيرة العربية، ص 62، بطليموس والجزيرة العربية، ص 65، تقع على بعد 30 كم شمال غرب مدينة اربد وعلى الضفة الجنوبية لنهر اليرموك في المنطقة المسماه منطقة الحمة، وقد امتدت حدود هذه المدينة في العصر الروماني حتى وصلت بحيرة طبرية، يتألف مخطط المدينة من شبكة تنظيمية من الشوارع الرئيسة التي تتقاطع مع شوارع فرعية، تقسم المدينة إلى مناطق متعددة غير متساوية المساحة، ولم تكن الشوارع الفرعية متوازية مع الشوارع الرئيسة، إضافة إلى أن هذه الشوارع كانت مبلطة ومزودة بنظام تصريف المياه، ونظام مائي متطور يحتوي على أنفاق عميقة تقطع معظم أجزاء المدينة لتوزع المياه على كافة الأنحاء فيها، أما أهم الآثار الموجودة حاليا في الموقع فتعود إلى الفترتين الهلنستية والرومانية وإعادة الاستيطان في الفترات البيزنطية والإسلاميّة، إضافة إلى القرية العثمانية القائمة في الجهة الشرقية من الموقع، وتتمثل أهم البقايا الأثرية في الموقع في المقابر المنحوتة بالصخر، وعددا من المسارح وشارعان رئيسيان وحمامان وسبيل الحوريات وعددا من الكنائس. الشياب، عاطف، التنقيبات الأثرية في أم قيس (جدارا) 2015، أبحاث جامعة اليرموك/ الأنباء، العدد 36، 2016، ص 9 – 10.

(67) هي باشان القديمة التي ضمّت منطقة حوران الحاليّة والجولان واللّجاة، أي سوريا الجنوبيّة برمّتها، وقد وردت عند يوسيبيوس بصيغة باسان Βασάν ووضعها في جلعاد (السلامين والقنانوة، **الطوبونيميا النبطيَّة**، ص 53).

(68) وصفها الحموي في معجمه بأنها (من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران)، الحموي، معجم البلدان، الجزء 1، ص 441، تقع أطلال هذه المدينة المشهورة في سهل النقرة الخصب على بعد 140 كم جنوب شرق مدينة دمشق، على أطراف اللجا الجنوبية، إلى الشمال من الحدود السورية الأردنية الحالية، كانت في يوما ما مدينة تجارية نبطية وعاصمة للمقاطعة العربية إبان الحكم الروماني. مقداد، دريد، الأماكن الأثرية في بصرى، الطبعة الأولى، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1995، ص 7 – 8.

(69) عبارة عن ثوب طويل حتى أعلى القدمين عريض من الأسفل ثم يضيق تدريجيا نحو الاعلى، وأكمامه ضيقة أو واسعة، وله كمان طويلان يتسعان عند راحة الكف، المجتمع الأردني، مظاهر الحياة الشعبية، غسان علي نبازي التل، الطبعة الاولى، 2006، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد– الأردن

التي بللتنا حتى الجلد. لقد أجبرت على المشيء في الوحل حافي القدمين ليوم كامل لأنه كان من المستحيل استخدام نعلي في تلك الأرض الموحلة التي كانت رخوة بسبب الماء.

تقع بلدة درعا على الطرف الشرقي لطريق الحج إلى مكة، وهي في الوقت الحاضر غير مأهولة بالسكان وعبارة عن أطلال وليس هناك آثار باقية من العمارة القديمة الجميلة باستثناء تابوت حجري متقن الصنع شاهدته بالقرب من نافورة حيث يستخدم كحوض لها. معظم البيوت مبنية من البازلت. منطقة البُطثين أو البُتثيين تضم آلاف الكهوف المنحوتة في الصخور من قبل سكان البلاد القدامى. معظم البيوت حتى في هذه القرى التي استوطنها الناس حديثاً هي نوع من المغاور، وتتألف من جدران أقيمت على النقاط البارزة من الصخور بطريقة تكون فيها جدران الغرفة الداخلية التي يعيش فيها السكان جزئياً مبنيةً بناء. بالإضافة إلى هذه الأماكن المعزولة هناك عدد من الكهوف الكبيرة جداً في الجوار، والتي لا بد من أنّ إنجازها تطلب جهداً مضنياً من العمل لأنها حُفرت في الصخر الصلب. لها باب واحد كمدخل، وغالباً ما يكون ملتصق بالصخر بحيث يغلق وكأنه باب منزل. ويبدو أن هذه المنطقة سكنها في السابق ساكني الكهوف دون معرفتهم بالقرى التي سكانها ربما يُعتبرون مثلهم كذلك. وحتى اليوم هناك العديد من العائلات التي ماتزال تسكن في الكهوف التي فيها من المتسع ما يكفي لاستيعابهم هم ومواشيهم. هذه الكهوف الضخمة يمكن كذلك العثور عليها في منطقة الجدور[70] على بعد بعض الفراسخ إلى الجنوب من مكيس (أم قيس) حيث التقينا بعدد من العائلات من ساكني الكهوف.

أخذت معي فلاح مسلح بالإضافة إلى دليلي، وبعد مسير مرهق وصلنا بالليل إلى كهف طبيعي ضخم تقطنه عائلة مسلمة. بعد مرورنا من خلال ممر واسع وطويل شاهدنا في نهايته جزء من العائلة مجتمعين حول النار ومشغولين بتجهيز طعام العشاء، والذي يتألف بشكل رئيسي من الحساء مخلوط مع أعشاب برية وعصيدة من القمح. كنت مبللاً بالكامل بسبب المطر ومشيت حافي القدمين طوال اليوم. لذلك لم تكن النار المشتعلة كافية لتمدني بالدفء بالرغم من أن الناس والمواشي الذين عادوا عند غروب الشمس ملأوا تقريباً كل الكهف. كان من الممكن أن أقضي ليلة سيئة لو لم يأخذنا الأب الكبير للعائلة بلطفٍ منه إلى كهف آخر على مسافة قريبة بعد تناول العشاء. بعد دخولنا عبر باب ذو حجم عادي

(70) من الواضح أن هذه المنطقة واحدة من المناطق الواقعة ضمن إطار أم قيس (لقد ذكر هير سوسين في القرن التاسع عشر بان ام قيس Gadara سميت نسبة للكهوف التي ما زالت موجودة بالقرب من المدينة، وقد عزز شوماخر ما اتى به هير سوسين ان المنطقة الشرقية من الموقع مشهورة بكهوفها الكثيرة والتي ما زالت تعرف لسكان المنطقة باسم جدور ام قيس). عودة الله، عبد الرحيم سليمان، الاستيطان الهلنستي في شمال الأردن، 1994. قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في تخصص الآثار جامعة اليرموك، ص 50.

وجدنا في الداخل قطيع من الماعز يملكه ساكن الكهوف هذا، وفي نهاية فراغ واسع وغير مشغول كان هناك جذع شجرة ضخم أشعلوه لنا، وقد دعانا احتراقه المبهج للنوم حوله. بقيت النار مشتعلة طوال الليل وأحضر لنا سيد هذه العائلة الكريمة طبق من الرز اللذيذ. مظهر سكان الصخور المتوحشين هؤلاء أشعرني بعدم الراحة للوهلة الأولى، لكن بعد ذلك وجدت أنهم لم يكونوا أكثر همجية من الفلاحين الآخرين من سكان المنطقة. الأب الكبير لهذه العائلة بدا بالعكس شخص حساس ورجل وإنساني.

في صباح اليوم التالي أنطلقنا جنوب مكيس (أم قيس) (23/2/1806). إن هذه البلدة على زاوية جبل مرتفع يحيط بها وادي شريعة مناذرة ووادي العرب. في الماضي كانت بلدة كبيرة مزدهرة وما يثبت ذلك بقايا أعمدة الرخام التي مازالت موجودة، والمباني الضخمة والأعداد الكبيرة للتوابيت الحجرية المزخرفة بمنحوتات بارزة، وبالنحت والتاجيات التي مازالت بحالة حفظ ممتازة إلى حد كبير. كل هذه التوابيت من حجز البازلت الذي ربما جاء من منطقة الجولان[71]. كما يمكن العثور على العديد من الكهوف الجميلة والضخمة والمميزة جداً في المنطقة، وهي تستخدم كأماكن للسكن من قبل خمس أو ست عائلات من ساكني الكهوف العرب (البدو). دخلنا إلى أحد هذه الكهوف وأعطونا الحليب والزبدة وغيرها حسب العادات والتقاليد. أعتقدت بأن هناك سبباً للاعتقاد بأنّ مكيس هي نفسها جدارا القديمة وهي بلدة من الصف الثاني من بين مدن الديكابولس[72]. على خارطة بولوس وُضعت جدارا على الضفة الشمالية لشريعة مناذرة، لكن على ذلك الطرف من النهر لم يستطع أحد أن يريني أي مكان بهذا الاسم ولم يستطع أحد اكتشاف أي آثار قد تشير إلى وجود بلدة كبيرة وقرية في العصور الغابرة.

(71) تقع هضبة الجولان في الجزء الجنوبي الغربي من الجمهورية العربية السورية في المنطقة الواقعة على طريق القوافل المؤدية من بغداد ودمشق إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، يحدها من الجهة الشمالية السفح الجنوبي والجنوبي الشرقي من جبل الشيخ الذي يشكل حدودها مع لبنان، ويحدها من الغرب نهر الأردن وبحيرة طبرية، ويشكلان حدودها مع فلسطين، ومن الجنوب المجرى الأسفل لنهر اليرموك الذي يفصلها عن مرتفعات عجلون والأردن الشمالية الغربية، أما من الشرق فيحدها وادي الرقاد الذي يشكل الحدود الإدارية مع محافظتي درعا ودمشق. شهوان، أسماء راتب، الاستيطان الصهيوني في هضبة الجولان السورية (1967 – 2000/ دراسة تاريخية تحليلية)، قدمت هذه الأطروحة استكمال لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، إشراف، أ. د. نظام العباسي، 2010، ص 8 – 9.

(72) تعتبر أم قيس إحدى أهم مدن الديكابوليس وليست من الصف الثاني كما ادعى كاتب الرحلة (ربما المقصود مكانها جغرافيا في الصف الثاني).

وإذا كان الجغرافيون القدامى يضعون فعلاً جدارا على الطرف الشمالي لشريعة مناذرة (اليرموك) فإن حدسي غير سليم. ولأنني لا أملك الآن أي كتاب جغرافيا قديم فإنه لا يمكنني تأكيد هذه الحقيقة. على أية حال، ولأن المعالم الطبيعية البارزة التي يُعثر عليها في محيط البلدات القديمة (الأثرية) تحدد مواقع تلك البلدان بتأكيد أكثر من أعمال الرجال سريعة الزوال، فقد جهزت نفسي للبحث في ضواحي مكيس (أم قيس) عن بعض الينابيع الحارة والتي كانت قديماً موجودة بالقرب من جدارا، وقد اكتشفتها على الطرف الجنوبي على بعد فرسخ من السفح السفلي للجبل الذي تقع عليه مكيس (أم قيس) على الضفة الشمالية لشريعة مناذرة. كان هناك ثلاثة ينابيع حارة على بعد فرسخ بين الواحدة والأخرى[73]. الأولى وهي الأكبر تسمى حمة الشيخ. لم أتمكن من تفحص تلك الينابيع إلا من مسافة 200 أو 300 خطوة بسبب فيضان النهر نتيجة الأمطار الأخيرة؛ لأن أحداً من البدو الذين يقطنون في خيام بالقرب منها لم يوافق على المخاطرة في نقلي عبر النهر بالرغم من أنني عرضت عليهم المال. لقد أكدوا لي أن الينبوع الحار الأول على بعد فرسخ من مكيس (أم قيس) وفيه كمية من الكبريت الذي يستخدمه البدو في علاج إبلهم من الجرب. هناك دليل آخر يبدو أنّه يؤكد الرأي القائل بأنّ مكيس هي جدارا القديمة وهو بالتحديد أنّ الطرف الجنوبي من هذه المنطقة المليئة بالكهوف حيث أمضينا الليلة يحمل اسم الجدور والذي من المحتمل أنه مشتق من كلمة جدارأ أو جدارا. جزء كبير من الجولان يسمى جدور ويقع على الطرف الشمالي لشريعة مناذرة. هذا الجزء يشمل كل المنطقة على الضفة الشرقية من نهر روشاد ويمتد حتى – تقريباً – الطريق الذي يستخدمه الحجاج إلى مكة، لنقل بعيداً عن حوران. لذلك يبدو أنّ مكيس أو جدارا تقع في منتصف المنطقة تقريباً.

آثار أبيل، أبيلا سابقاً، إحدى مدن الديكابولس الأساسية تقع على بعد بضعة فراسخ من هنا باتجاه الشرق على الطرف الجنوبي لشريعة مناذرة، لكن كل تلك المنطقة كانت (في الوقت الحالي) مسكونة من قبل البدو من قبيلة بني صخر الذين أحضروا مواشيهم هناك. وحالما غادرنا مكيس التحق بنا أحد هؤلاء البدو، وكان على صهوة جواد ومسلحاً برمح. قدم له دليلي غليوني ليدخن فأخذه دون تردد وحمله معه وكان من المحتمل أن يفعل نفس الأمر مع أي شيء معنا قد يبدو أنه يستحق العناء. التقينا بالعديد من البدو من نفس القبيلة مشغولين برعي جمالهم وأغنامهم في الصحاري وتركونا دون

(73) وهذه الينابيع هي (المقلى حمام سليم)، وقديما كانت تعرف باسم حمة الشيخ، وثاني هذه الينابيع فتسمى (الريح)، اما الثالثة فتسمى البلسم (الجرب)، وجميعها واقعة بين محطة السكة الحديدية وضفة نهر اليرموك اليمنى على ملتقى الحدود بين فلسطين وسوريا وشرق الأردن، وقديما تقع جميعها ضمن أعمال مدينة أم قيس، الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الأول – القسم الأول، الجزء السادس – القسم الثاني، وانظر أيضا: سلامة، إلياس، والريماوي، عمر، السياحة العلاجية/ مياة الاستشفاء في الأردن، وزارة السياحة والآثار، 1997، ص 55.

اعتراض. بعد مسير طويل نوعاً ما وصلنا غروب الشمس إلى قرية مسلمة قضينا فيها الليلة. دليلي، عويسر، كان خائفاً جداً من البدو من بني صخر لدرجة أنه رفض في اليوم التالي مرافقتي إلى أبيلا (القويلبة)، لكن بطريقة المواساة وعد بأن يأخذني إلى بيت راس حيث عثرت لاحقاً على بعض الآثار. لقد أجبرت بالاكتفاء بهذا العرض على أمل أنْ أقابل هناك شخص ليحل مكانه. لكن بدلاً من ان يلتزم بوعده أخذني إلى القرية الصغيرة المعروفة باسم اربد التي كانت في السابق بلدة كبيرة ومقر إقامة زعيم هذه المنطقة. هذا المكان لم يكن على بعد سوى فرسخين من بيته في الحصن، الأمر الذي جعله يعود اليه في نفس اليوم.

واحتراماً لذاتي، بقيت مستمراً في تصميمي في الذهاب إلى أبيل (أبيلا)، واتفقت مع ثلاثة مسلمين ليقوموا بمرافقتي إلى هناك. لقد بدا أنهم كانوا يرغبون في قبول عرضي طالما أنهم كانوا يعتقدون أنني كنت ذاهب إلى هناك للبحث عن كنز مخفي، لكنهم حالما وضحت لهم بصدق أنني لا أفقه شيئاً في البحث عن الكنوز، وأن هدفي كان البحث عن نباتات تركوني وغادروا المكان. نتيجة ذلك انطلقت وحيداً إلى بيت راس[74] وهي قرية تقع على ارتفاع متوسط ويقطنها مسلمون وتبدو من بعض البقايا المعمارية القديمة أنها كانت في فترة ما بلدة كبيرة. هنا أيضاً يوجد عدد من الكهوف، بعضها مسكون، وأخرى تُستخدم كحظائر وإسطبلات. شيخ القرية كان لطيفاً حيث قام بتأميني بدليل رافقني إلى إبيل (إبيلا) التي تقع على بعد بضعة فراسخ من هنا باتجاه الشمال. الطريق الذي سرنا به لم يكن مستخدماً بشكل كبير وتم احتجازنا لبعض الوقت من قبل اثنين من البدو اللذين تركانا نذهب أخيراً. بعد برهة قصيرة جاء بدوي آخر مسلح مسرعاً خلفنا على ظهر جواده، لكنه تركنا نذهب وتمنى لنا رحلة طيبة عندما عرف بأنني صديق لشيخ بيت راس. أخيراً وصلنا إبيل بعد أن اضعنا الطريق. تقع البلدة، في طرف (زاوية) جبل يتألف من قاعدتين[75] وسفوحه العليا مليئة بالكهوف. البلدة مهجورة بالكامل وعبارة عن أطلال. ليس هناك مبنى واحد قائم، لكن الآثار والبقايا المعمارية تشهد على مجدها الغابر، فهناك بعض البقايا الجميلة للجدران القديمة التي يمكن اكتشافها مع عدد من الأقواس وأعمدة الرخام والبازلت والجرانيت الرمادي. خارج تلك

(74) بيت راس أو كابيتولياس هي إحدى مدن الديكابولس المهمة في الأردن، وتقع على بعد بضع كيلومترات إلى الشرق من مدينة اربد. فيها بقايا مسرح روماني، وفي عام 2016 اكتشف فيها ضريح روماني جدرانه مغطاه برسومات جدارية غاية في الروعة.

(75) يتكون موقع قويلبة Abila الاثري من تل ابيلا في شمال الموقع وام العمد في جنوب الموقع وتصل منطقة السرج كلا التلين، ويجري وادي قويلبة من عين قويلبة للجنوب من أم العمد وللشمال باتجاه تل إبيلا، ويحد الوادي الحافة الشرقية من الموقع.) (الاستيطان الهلنستي ص 45). background and analytical description of the ، 1980، the Decapolis survey project; Abila، Harod; et al ، W،Mare ADAJXXVI; 37 – 62.، and the methodology used in the 1980 survey،Abila of the Decapolis . وانظر أيضا: السرحاني، سلطان، موسوعة محافظة إربد: دراسة أدبية، تاريخية، جغرافية، الطبعة الأولى، عمان، 2003، ص73 – 74.

الأسوار القديمة وجدت العديد من الأعمدة الضخمة، اثنان منها حجمها ضخم جداً فاستنتجت من ذلك أن معبداً كبيراً كان موجوداً في السابق في نفس البقعة[76].

رجعنا إلى بيت راس مبللين بالكامل بمياه الأمطار وفي اليوم التالي وصلنا إلى الحصن[77] بعد عاصفة من الرياح والأمطار. هذه الرحلة استغرقت عشرة أيام. مازال أمامي طريق طويل وقد بدأت نقودي بالنقص. بعت مسدساتي ظناً مني بأنني سأتدبر أمري بدونها. الطريق الذي نويت الذهاب عبره من أجل الوصول إلى جبال عجلون لم يكن آمناً، وأصبح من الضروري الانتظار حتى تلوح فرصة ملائمة أكثر للبدء بتلك الرحلة. أخيراً لاحت الفرصة في السادس من آذار (1806) عندما غادرت مجموعة كبيرة من الفلاحين المسلمين إلى طاحونة على بعد ثلاثة فراسخ ليأخذوا حنطتهم للطحن[78]. حصلت على رجلين مسلمين لمرافقتي. عبرنا من خلال غابة مليئة بالصيد، وبعد ثلاث ساعات من المشي وصلنا إلى وادٍ ضيق وعميق يجري فيه جدول يلتقي بالعديد من الأودية الأخرى التي تصب في وادي اليابس أو وادي موش (Moush)، والذي ينتهي في نهر الأردن عند انحراف مقابل بيسان (سكيثوبولس)[79]. يشكل هذا الواد الحد ما بين البوثين el–Botthin وعجلون. والواد أو النهر المشار له في السابق تم بالخطأ الإشارة له على أنّه يابوق[80] (الزرقاء) في خارطة بولوس. سلسلة جبال عجلون هي جلعاد[81] القديمة وتغطيها أشجار وأدغال تتجمع عليها العديد من المكسرات المرة Gallness. في اليوم التالي وصلنا إلى قلعة الرقبة (الربض) التي تقع على قمة جبل مرتفع إلى حدٍ ما وهنا يقيم الشيخ الذي يحكم هذه الجبال. قرية عجلون قريبة منها على وادٍ صغير وفي الصخور القريبة هناك أعداد هائلة من الكهوف.

---

(76) وهذا الأمر ليس بالشيء الغريب، ذلك أنّ كل المدن الرومانية تتبع مخطط واحد، ولا تخلو أي مدينة رومانية قديمة من وجود معبد إن لم يكن أكثر من ذلك.

77 – الحصن من ضواحي مدينة إربد في شمالي الأردن.

(78) الطواحين المائية كانت تقام على جوانب الأودية الجارية، وبقايا تلك الطواحين ما زالت موجودة على امتداد عدد من الأودية في محافظتي إربد وعجلون.

(79) بيسان (سكثيوبوليس) (Scythopolis)، إحدى مدن الديكابوليس ، بلينوس والجزيرة العربية، ص 61، بطلميوس والجزيرة العربية، ص 66، تقع المدينة على تل مرتفع نسبيا في القسم الشمالي من فلسطين في الزاوية الجنوبية الشرقية منه وعلى وجه التحديد في الغور الأعلى، تبعد عن مدينة طبرية في الشمال حوالي 38 كم، وعن بيت المقدس 127 كم ، وعن نهر الأردن 6 كم شرقا، حمد، اسامة أحمد، اقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي من سنة 492 – 690 هـ / 1099 – 1291م، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في قسم التاريخ/ كلية الدراسات العليا/ قسم التاريخ/ جامعة النجاح الوطنية، ص 25 – 26.

(80) يابوق هو الاسم القديم لنهر الزرقاء، والذي يعني (مفَرِّغ)، الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الأول – القسم الأول، ص 81.

(81) كانت أراضي جلعاد قديما تمتد من نهر اليرموك شمالاً حتى وادي حسبان جنوبا، (ربما تم تعريفه سابقا)، أوليفانت، لورنس، أرض جلعاد/ رحلات في لبنان وسورية والأردن وفلسطين 1880، الطبعة الأولى، ترجمة: أحمد عويدي العبادي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2004، ص 120.

أمضينا الليلة في قرية عين جنة[82] حيث وجدنا هناك بعض العائلات المسيحية من الطائفة اليونانية. في الثامن من آذار (1806) مررنا ببعض الجبال التي يغطيها الثلج الذي يسقط هنا وتبلغ سماكته أحياناً ثلاثة أو أربعة أقدام، وأمضينا الليلة في قرية سوف[83] التي يقع بجانبها عدد من الينابيع التي تشكل نهراً صغيراً يجري باتجاه جرش ليصب فيما بعد في الزرقاء (سيل الزرقاء).

في اليوم التالي كان لدي الرغبة في رؤية الآثار المهمة في جرش على بعد فرسخين إلى الشرق من سوف، والتي يمكن مقارنة آثارها مع تلك في تدمر أو بعلبك. من المستحيل شرح كيف أنّ هذا المكان الذي كان في الماضي ذا شهرة كبيرة لم يجلب انتباه كل محبي الآثار. تقع (جرش) في سهل مفتوح وخصب نوعاً ما ويجري من خلالها نهر. قبل دخولي للبلدة وجدت العديد من التوابيت التي تحمل زخارف بارزة لفت انتباهي من بينها واحد على حافة الطريق عليه نقش يوناني. أسوار البلدة متهدمة لكن مازال من الممكن تتبع كامل امتدادها الذي قد يكون بحدود ثلاثة أرباع الفرسخ او فرسخ كامل[84]. الأسوار بُينت بالكامل من كتل مقطوعة من الرخام[85]. الأرض ضمن الأسوار ذات مستويات غير مستوية وتميل (شرقاً) باتجاه النهر، ولم يتبق فيها منزل خاص واحد بشكل كامل. لكنني في المقابل لاحظت العديد من المباني العامة التي كان يميزها طراز جميل جداً من العمارة. وجدت مسرحين رائعين مبنية من الرخام بالكامل[86] مع أعمدة وكوى وغيرها، وجميعها في حالة جيدة. وجدت أيضاً بعض القصور وثلاثة معابد؛ أحدها له رواق يتألف من 12 عمود ضخمة من الطراز الكورنثي؛ أحد عشر منها مازالت قائمة[87]. وفي معبد آخر منها شاهدت عموداً على الأرض من الجرانيت المصري المصقول الاكثر جمالاً.

(82) إحدى قرى مدينة عجلون، تشرف عليها قلعة المدينة، العابدي، محمود، الآثار الإسلاميّة في فلسطين والأردن، وزارة الثقافة، مكتبة الأسرة الأردنية/ مهرجان القراءة للجميع، 2019، ص 224. سيشار الى هذا الكتاب لاحقا: العابدي، الآثار الإسلاميّة.

(83) إحدى قرى مدينة جرش، تقع على بعد 9 كم الى الشمال الغربي منها. الرواضية، مدونة النصوص الجغرافية، الجزء الثاني، ص 474.

(84) كانت مدينة جرش محاطة بالأسوار من جميع الجهات، ويتخلل الأسوار أربع بوابات في الجهات الأربعة للمدينة، وأبراج تحصينية مربعة (بمساحة 6م مربع لكل برج)، وعلى مسافات غير منتظمة بين الأبراج (17 – 22م). في الوقت الحاضر يمكن مشاهدة الأبراج بوضوح في الجزء الغربي من مدينة جرش الأثرية.

(85) الأسوار مبنية من كتل أو بلوكات مقطوعة بشكل منتظم من الحجر الجيري وليس الرخام.

(86) الرخام استخدم في تبليط أرضيات الأوركسترا في مسارح جرش، وليس في بناء المسارح نفسها. المسارح مبنية من الحجارة الجيرية.

(87) المعابد المعروفة في جرش هي معبد زيوس في الطرف الجنوبي من المدينة بالقرب من المسرح الجنوبي، وهو المقصود في حديثه عن الأعمدة الأثني عشر، ومعبد أرتيمس في الجزء الأوسط من المدينة بالقرب من المسرح الشمالي.

وجدت أيضاً بوابة جميلة للمدينة وبحالة حفظ ممتازة لها ثلاث أروقة (بوابة هادريان) ومزينة بالاعمدة. إن الشيء الأكثر جمالاً الذي اكتشفت كان شارعاً طويلا يقاطعه شارع آخر ويزينه على الجانبين صفاً من اعمدة الرخام على الطراز الكورنثي وآخر ينتهي امتداده في شبه دائرة (الساحة البيضاوية) يحيط بها ستون عموداً على الطراز الأيوني. وفي النقطة التي يلتقي فيها الشارعان هناك قاعدة ضخمة من الحجر المقطوع على الزوايا الأربعة قد تكون حملت في الماضي تماثيلاً (المصلبة الجنوبية)[88].جزء من الرصفة الحجرية لا زال موجوداً وهي من الحجر المقطوع. وبشكل عام تمكنت من عد مئتي عمود مازالت جزئياً تدعم سواكفها، لكن العدد الأكبر منها ملقى على الأرض، علماً بأنني أشاهد نصف امتداد البلدة ويمكن لأي شخص العثور على الطرف الآخر(الشرقي) من النهر كمية من التحف الرائعة[89]. كان هناك بعض البدو في الموقع. بدأ يوسف بالتململ وقد أُجبرت على وعد دليلي بهدية لإقناعه على البقاء لنصف ساعة أخرى. لغت الحاجة للشجاعة من ناحية والحاجة للباقة من ناحية أخرى لأنهما منعا إكمال أبحاثي. لا يمكن لجرش سوى أنْ تكون جراسا القديمة إحدى بلدات حلف المدن العشر[90]. ومن الصعب تخيل حجم الجهل الكبير الموجود حول موقعها الحقيقي كما هو الحال على خارطة بولوس الذي وضعها إلى الجهة الشمالية الشرقية من الطرف الشمالي لبحيرة طبريا. ولا أعلم إن كان أحد الجغرافيين القدامى قد ارتكب نفس الخطأ. ومن بقايا نقش يوناني قمت بنسخه استنتجت أن العديد من مباني هذه البلدة انشئت في عهد الامبراطور ماركوس أوريليوس أنتونينوس[91]. إن التاريخ الروماني ربما يقدم تاريخاً مؤيداً لهذا التخمين. بجميع الأحوال، فإنه من المؤكد أنّ صروح هذه البلدة من عصر العمارة الرومانية الأكثر جمالاً. بعد قضاء الليلة في قرية الكتة[92] على بعد فرسخ ونصف من جرش أكملنا رحلتنا في العاشر من آذار، وتوقفنا بعد مسير دام لثلاث ساعات في

(88) هذا الرأي المعتمد من قبل علماء الآثار.

(89) الجزء الشرقي من المدينة يضم آثاراً مهمة من الفترة الرومانية، لكن جزء كبير منها لم يعد موجوداً بسبب نشأت البلدة الحديثة في نفس المكان بعد قدوم الشركس في عام 1878م.

(90) هذا المتعارف عليه بين علماء الآثار والتاريخ، وقد ورد ذكر جرش كإحدى المدن العشر عند الجغرافيين الرومان أمثال بطليموس وبليني.

(91) أمبراطور روماني حكم في الفترة من 163 الى 180 ميلادياً.

(92) تقع على بعد 5 كم غرب مدينة جرش.

قرية مسلمة، حيث الشيء الوحيد الذي يمكننا تناوله كان قرون الخروب الجاف[93]. لقد بدأ للتو صوم المسيحيين من اتباع الكنيسة اليونانية ولأننا قدمنا أنفسنا كأتباع لنفس الكنيسة فإنه كان من الضروري الالتزام به.

في اليوم التالي عبرنا نهر الزرقاء والذي يجري في ودٍ عميق. وهو عبارة عن جدول صغير مثل روشاد وضفافه تغطيها أشجار القصب. إن نهر يابوق بحسب المؤرخين التوراتيين يشكل الحد الشمالي لأرض العموريين[94]. ينبع نهر الزرقاء قريباً من طريق الحج إلى مكة[95]. على الجانب الآخر تبدأ منطقة البلقاء. كل المنطقة التي كانت في الماضي مأهولة بالسكان ومزدهرة تغيرت الآن وتحولت إلى صحراء واسعة فيها بلدة واحدة فقط مسكونة تسمى السلط حيث وصلنا اليها بعد الظهر. أقيمت بلدة السلط على سفح تل دائري صغير على قمته هناك قلعة[96]. السفوح الوعرة لهذا التل مقسمة إلى مصاطب ومزروعة بأشجار العنب والزيتون وغيرها وقد ذكرتني بالزراعة الجميلة في جبال لبنان. البلدة نفسها يقطنها بعض المسلمين وعدد كبير من المسيحيين من أتباع الكنيسة اليونانية (الشرقية) المعفيين من أي ضريبة ولا يتبعوا لأحد. ويبدو أنّ السلط هي نفسها أماثوسا (Amathusa) القديمة[97]. لقد كان لدي رغبة شديدة في زيارة عمان التي كانت في يوم من الأيام مقر إقامة عدد من الملوك، والتي أصبحت فيما بعد مشهورة باسم فيلادلفيا ضمن بلدات المدن العشر[98].

---

(93) الخروب (Carob Pods)، شجرة داكنة اللون، اسمها العلمي (L. Ceratonia Siliqua)، من الفصيلة القرنية (Leguminoseae)، دائمة الخضرة تنمو في دول البحر الأبيض المتوسط، وللخروب قرنات جلدية بنية اللون تحتوي على لب لزج، ولهذا اللب مذاق مماثل للشكولاته. https://www.marefa.org/%D8%AE%D8%B1%D9%88%D8%A8

(94) ورد ذكر العموريين في عدد من المصادر التاريخية، وهناك جدل علمي حول أصلهم وأماكن سكناهم، لكن المتعارف عليه أنهم تواجدوا في أجزاء من سوريا والأردن، ولغتهم تنتمي غلى عائلة اللغات السامية الشمالية الغربية.

(95) وفي هذا المقام يذكر الحموي في معجمه بأن (الزرقاء موضع بالشام بناحية معان، وهو نهر عظيم في شعاري ودحال كثيرة، وهي أرض شبيب التبعي الحميري وفيه سباع كثيرة مذكورة بالضراوة وهو نهر يصب في الغور) الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، ص 137، وهنا لا بد من الإشارة إلى أنّ قلعة الزرقاء (قصر شبيب) تعتبر واحدة من محطات الحج الشامي الواقعة في الأراضي الأردنية على الجهة الشمالية الغربية من سيل الزرقاء. الحصان، عبد القادر محمود، القلاع والخانات التركية العثمانية على طريق الحاج الشامية في الديار الأردنية، المكتبة الوطنية، (لا يوجد رقم طبعة)، 2006، ص 103.

(96) بناء أيوبي اشرف على بناءه نائب عجلون أيبك بن عبد الله العلائي أحد أمراء الملك العادل أيوب عام 1220، تقع في وسط مدينة السلط التاريخية على راس جبل يعرف براس الامير. الشياب، عاطف، والمحيسن، زيدون، علم الآثار والمتاحف الأردنية، طبع بدعم من وزارة الثقافة، 2008، ص 171، سيشار إلى هذا الكتاب لاحقا، الشياب، علم الآثار والمتاحف الأردنية. وقد قام بتجديدها الظاهر بيبرس عام 1261. العابدي، الآثار الإسلاميّة، ص 232.

(97) ربما تكون هي [Αμμ]αθους الوارد ذكرها في خريطة مادبا كأحد أسماء المواقع الجغرافية في منطقة وادي الأردن (السلامين والقنانوة، الطوبونيميا النبطيّة، ص 126).

(98) عرفت بهذا الاسم نسبة إلى بطليموس الثاني فيلادلفوس الملك البطلمي الذي حكم الدولة البطلمية في الفترة ما بين 286 و246 قبل الميلاد، وينسب له تأسيسها.

تقع (عمان) على بعد ست فراسخ إلى الشرق من السلط على فرع من نهر الزرقاء يسمى نهر عمان[99]. ولأن المنطقة لم تكن آمنة فقد بقي يوسف (في السلط ؟) واستبدلته برجلين مسلحين. انطلقت معهم في الثالث عشر من آذار، وشاهدنا طوال طريق الرحلة قرى بائدة وقابلنا عدد من البدو وجمالهم. وقبل أن نصل إلى مصدر نهر عمان الذي ينقسم إلى فرعين أجملهم الأول، وجدنا في الوادي بلدة عمان (الأثرية) على جانبي النهر والجزء الأبعد والأكثر حجماً يقع على مرتفع تل (جبل القلعة).

وعلى الرغم من أن هذه البلدة، دُمرت وهُجرت لعصور عديدة إلّا أنّني عثرت هناك على بعض الآثار المميزة التي تشهد على ازدهارها في الماضي. مثل (أولاً) بناء مربع مزخرف بشكل كبير جداً ربما كان ضريح[100]. (ثانيا) آثار قصر كبير. (ثالثاً) مسرح رائع حجمه كبير ومحفوظ جيداً مع رواق من الأعمدة الكورنثية من غير قواعد[101]. (رابعاً) معبد له عدد كبير من الأعمدة[102]. (خامساً) آثار كنيسة كبيرة ربما مقعداً لأسقف في عهد الاباطرة المسيحيين[103]. (سادساً) بقايا معبد له أعمدة مبنية بشكل دائري وحجمها ضخم.

(سابعاً) بقايا السور القديم للمدينة مع العديد من الصروح الأخرى. لم أستطع سوى توفير وقت قصير من أجل استكشاف تلك الأجزاء وآمل ألا ينسى أي رحالة آخر قد يزور آثار جرش آثار عمان؛ تلك البلدة التي ازدهرت قبل زمن طويل من اليونان والرومان وحتى قبل العبرانيين. لقد كان هناك سابق في أرض العمونيين خلال عهد القضاة عشرون بلدة فتحها يفتاح (Jephtha)، لكن لم يتبق منها اليوم أي أثر[104]. مكملاً رحلتي شاهدت لأول مرة البحر الميت من على قمة

(99) ينبع هذا النهر من رأس العين في عمان، ويستمر بالجريان إلى أن تلتقي به مياه عين ياجوز على بعد أحد عشر كيلو مترا شمال عمان، ويتابع مسيره شمالا بعد أن يمر بالرصيفة والزرقاء حيث اشتق اسم هذا النهر منها وينجرف نحو الغرب باتجاه جرش، ثم دير علا في الغور، ومنها يسير باتجاه الجنوب الغربي ثم إلى باتجاه الشمال الغربي قبل أنْ يصب في نهر الأردن. الداوود، جورج فريد، السلط وجوارها، وزارة الثقافة، عمان – الأردن، 2009، ص 54.

(100) أشار بعض الرحالة والمستكشفين الغربيين الذين زاروا عمان في القرن التاسع عشر إلى وجود أضرحة على جوانب سيل عمان، ويظهر بعضها في الصور والمخططات التي تعود لتلك الفترة لكنها لم تعد موجودة اليوم.

(101) المدرج الروماني في وسط مدينة عمان.

(102) ليس هناك أي إشارات أو معلومات عن وجود معبد في ذلك الجزء من عمان القديم، وإن كان ذلك غير مستبعد، لكن قد يكون البناء المقصود هو سبيل الحوريات بالقرب من المسجد الحسيني أو الخان.

(103) كاتدرائية عمّان، وهي من آثار الفترة البيزنطية في عمّان والتي لم يعد لها وجود حالياً. وقد وصفها كوندر عندما زار آثارها في 1881 بأنها الكنيسة الرئيسة، وقد كانت تقع على سيل عمّان نحو 100 متر غرب سبيل الحوريات (النيمفيوم).

(104) يفتاح الجلعادي أحد قضاة بني إسرائيل الرئيسيين حسب التاريخ التوراتي كما جاء في سفر القضاة، الكتاب المقدس ص 309 – 310.

جبل، شاهدت أيضاً على بعد بعض الفراسخ إلى الجنوب آثار سار (sar) التي قد تكون نفسها البلدة القديمة المعروفة باسم Jaser إن لم تكن هي نفسها البلدة المعروفة باسم السير في هذه المنطقة[105]. أمضينا الليلة مع مجموعة من البدو وعدنا في اليوم التالي إلى السلط.

الكرك والبحر الميت وجواره

الجزء الأصعب من الرحلة لم يأتِ بعد. فعلي أن أعبر مساحة كبيرة من الصحراء، واكتشفت بأن دليلي يوسف لم يكن جاداً على الإطلاق في مرافقتي حول البحر الميت لقد بذل كل ما بوسعه ليثنيني عن القيام بالرحلة، لكنه عندما أدرك بأنني مصمم على الذهاب بدونه وأنني أخشى الصعوبات التي أكد سكان السلط بأنني سأواجهها وافق على ذلك. وللحصول على بعض المال قمت ببيع رداء آخر من ملابسي، وفي الحادي والعشرين من آذار (1806) انطلقنا نحو الكرك برفقة رجلين وسائق للبغال. أخذنا معنا زواد، للخبز حيث إن كل المنطقة الواقعة بين السلط والكرك غير مسكونة، وسيكون طعامنا الوحيد على الأرجح الخبز والماء خلال الرحلة. شاهدنا خلال رحلتنا العديد من البلدات والقرى التي كانت في حالة خراب كامل. والمنطقة بالكامل مهجورة ولا يجوبها سوى البدو. اجتزنا عيون نهر السير (وادي السير)، والذي أظنه Jazer من العصور القديمة. شاهدت هنا بعض الخزانات لكن لا يوجد بحيرة. قضينا الليلة كاملة مع جماعة من بني صخر. في الثاني والعشرين من آذار (1806) وصلنا آثار العال Elcale[106]، التي كانت بلدة قديمة للعموريين ومازالت تحتفظ باسمها. على خارطة بولوس تسمى Elcole، وتقع على الطرف الجنوبي لحسبان[107]. هناك خطآن يجب تصحيحهما. حسبان على بعد نصف فرسخ آخر، وقد كانت المقر الملكي للعموريين. حسبان ذكرت في (التوراة) في أغنية الأغاني 417[108]. بعد ذلك وصلنا إلى مادبا والتي كانت تسمى مَدبا في زمن موسى (التوراة)[109]. هنا عثرت على عمودين بالقرب من آثار معبد وخزان ماء مبني بشكل ممتاز من الحجر المقطوع. بعد ذلك شاهدنا آثار ماعين (بيت معيون)

(105) ربما تكون جازير التي يرد اسمها في اليونانية بصيغة Ἰαξήρ’، وهي قرية على حدود بيرايا (Avi–Yonah 1976: 68).

(106) هي حمامات الزارة الواقعة الى الجنوب من حمامات زرقاء ماعين، بيشريللو، مادبا، كنائس وفسيفساء، ص 82.

(107) تقع على بعد 10 كيلومترات شمال مدينة مادبا.

(108) أدخلوا حشبون لتبنى وتشيد مدينة سيحون لان نارا خرجت من حشبون ولهيبا من مدينة سيحون فالت مدينة عار في مؤاب والتهمت مشارف أرنون ويل لك يا شعب مواب هلكت يا شعب الاله كموش جعل بنيه مشردين وبناته سبيا للملك لملك الاموريين سيحون من حشبون باد إلى ديبون ومن نوف الى عند ميديا ، سفر العدد 2: 27 – 31.

(109) تقع مدينة مادبا على بعد 33 كم جنوب مدينة عمان، الشياب، علم الآثار والمتاحف الأردنية، ص 132.

القديمة حيث يمكن مشاهدة جبل نيبو إلى الغرب منها ويسمى اليوم عطاروس (عطاروز)[110]. وعلى بعد بضعة فراسخ عثرت على بعض الينابيع الحارة التي ظننت بأنها Callirhoe[111] والتي نويت استكشافها في وقتٍ لاحق. إلى الغرب من ماعين يوجد هناك منبع الجدول الصغير المعروف باسم زرقا ماعين والذي يصب في البحر الميت. وأنا أميل إلى اعتبار الوادي الذي يجري من خلاله بأنه Boaras–Vallis الذي ورد عند يوسيفوس[112]. هذه الليلة قضيناها بالمثل مع جماعة من البدو من قبيلة الاحطبية (الاحْطُبيّة)[113]. في اليوم التالي عبرنا الواد الصغير المعروف باسم الوالة[114] والذي يصب في البحر الميت. بعد فرسخين ونصف وصلنا آثار ذيبان أو ديبون كما عند المؤرخين العبرانيين[115]. تقع بلدة ذيبان في وسط سهل جميل لكنها وُضعت بشكل خاطئ على خارطة بولوس. بعد طول سير وصلنا إلى وادٍ عميق وموحش يستمد ماءَه من الموجب (أرنون سابقاً). هذا الواد يشكل الحد الجنوبي للبلقاء موطن العموريين القديم والحد الشمالي للكرك موطن المؤابيين[116]. نزلنا إلى الواد برفقة فلاح من السلط وبعض البدو من قبيلة بني عمرو (العمرو)[117] الذين رافقونا على الطريق، وقد قام هؤلاء بمهاجمتنا وسلبنا بعد عبورنا الواد بذريعة الحصول على ضريبة حق العبور. أكملنا مسيرنا وأمضيا الليلة مع جماعة من قبيلة الحمايدة[118]. في اليوم التالي عبرنا عدد من السهول الفسيحة التي يغطيها الشيح

(110) تبعد عطاروز حالي 14 كم شمال غرب ذيبان، المومني، اسماء أحمد، دراسة لغوية وجغرافية لأسماء أماكن في وسط وجنوب الأردن الواردة في العهد القديم، قدمت هذه الرسالة استكمالا للحصول على درجة الماجستير في جامعة اليرموك، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، قسم النقوش، 1997، ص 113، سيشار الى هذه الرسالة لاحقا: المومني، دراسة لغوية وجغرافية.

(111) وهي عيون الزارة التي يرد اسمها في اليونانية بصيغة كالليروي Καλλιῤῥοή (Avi–Yonah 1976: 45).

(112) ربما تكون زرقاء ماعين التي يرد اسمها في المصادر اليونانية بصيغة باراس Βαάρας (Avi–Yonah 1976: 34).

(113) الاسم الجامع لبلقاوية مادبا وجنوب عمان (أبو الغنم والوخيان والشاهين والشْعَرا والشُّواكرة والأزايدة والحديد والحنيطي والزُّفِفة والعميان). من مقابلة مع الدكتور زيد خضور بتاريخ 19.5.2022، وقد أفاد الدكتور خضور بأن هذا الاسم لم يعد مستخدماً، وقليل من الناس من يعرف دلالته.

(114) وادي الوالة أحد روافد وادي الموجب الذي يصب في البحر الميت.

(115) عاصمة المملكة المؤابية، تقع بالقرب من وادي الموجب من الجهة الشمالية وعلى بعد 64 كم الى الجنوب من عمان. الشياب، علم الآثار والمتاحف الأردنية، ص 91.

(116) وادي الموجب ويسمى قديما (وادي ارنون) ومعناه السريع، ويعتبر من أكبر الجداول التي تصب في البحر الميت من جهة الشرق، يبلغ طوله 80 كم، يشكل هذا الوادي الحد الفاصل بين جبال الكرك وجبال البلقاء، النحاس، سامي سلامة، تاريخ مأدبا الحديث، الجذور التاريخية لبعث المدينة وأهم الأحداث حتى عام 1939، وزارة الثقافة، عمان – الأردن، 2012، ص 31. سيشار إلى هذا الكتاب فيما بعد، النحاس، تاريخ مأدبا الحديث، وانظر ايضا: الرواضية، مدمونة النصوص الجغرافية، الجزء الثاني، ص 417.

(117) من بقايا العمرو القدماء، من غزية، بطن من بدو الكرك، منازلهم قريبة من وادي الموجب ووادي ابن حماد، بيك، فريدريك، تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، ترجمة: بهاء الدين طوقان، الطبعة الرابعة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان– وسط البلد، الجزء الثاني، 2016، ص 378، سيشار إلى هذا الكتاب لاحقا: فريدريك، تاريخ شرقي الأردن وقبائلها.

(118) أحد أفخاذ بني حميدة، والذين على الأغلب قدموا إلى شرقي الأردن من وادي السياح في الحجاز، ونزلوا بداية في الكرك، ثم نزح فروع منهم إلى البلقاء، فيما توجه آخرون وسكنوا الطفيلة. فريدريك، تاريخ شرق الأردن وقبائلها، ص267، 362.

ونباتات وأشجار أخرى. شاهدنا أيضاً العديد من القرى الأثرية من بينها شيحان وخميمات، وبالقرب من الأخيرة لاحظنا وجود قرية تتألف من 12 خيمة (بيوت شعر) يقطنها بعض البدو النصارى من أتباع الكنيسة اليونانية (الشرقية) الذين يعيشون حياة الترحال كبدو وحياة الاستقرار، ويشاركون العائلات الأخرى التي يرتبطون بها العناية بمواشيهم، هذه القبيلة من البدو النصارى تتميز باسم الحدادين[119] عن بعض القبائل البدوية المسيحية الأخرى في الكرك والذين هم أيضاً بدو مثلهم. استقبلونا بحفاوة بالغة وقدموا لنا القهوة والخبز المعجون بالزيت. بعد بضع ساعات من الراحة غادرنا أولئك الناس الطيبون من أجل وصول الكرك قبل غروب الشمس. مررنا بآثار الربة (ربة مؤاب) التي كانت سابقاً مقر الملوك المؤابيين[120]. امتداد تلك الآثار يثبت بشكل كامل أهميتها التاريخية، على الرغم من انني لم أستطع تحديد بقايا أثرية عدا عن آثار قصر أو معبد بعض جدرانه مازالت قائمة ولم يتبق من رواق الأعمدة سوى عمودين من الرخام على الطراز الكورنثي بدون قواعد.

مع اقترابنا من الكرك أصبحت التضاريس جبلية أكثر. البلدة نفسها كانت مركز أسقفية في يوم من الأيام وتقع على قمة جبل على مدخل وادٍ عميق. يحيط بها من جميع الجوانب جبال ذات ارتفاعات أكبر. في وضعها الحالي يمكن تسميتها بأنها عبارة عن كفر(قرية) لأنها في حالة خراب. القلعة حالياً مهجورة وخرائب وقد كانت في يوم من الأيام المكان الأكثر أهمية في المنطقة[121]. سكان المدينة مسلمين ومسيحيين من أتباع الكنيسة اليونانية (الشرقية) بشكل أساسي، وأسقفهم يعيش في القدس. تمتلك إطلالة جميلة على البحر الميت والقدس التي يمكن رؤيتها بشكل واضح في جو صحو. إن الحد الجنوبي لمنطقة الكرك هو وادي الحسا الذي يفصلها عن منطقة جبال (Gabalene) [122] والذي يصب بالطرف الجنوبي للبحر الميت تحت اسم القراحي[123]. ثلاث قرى أخرى في الكرك يسكنها المسلمون. منطقة جبال تمتد لمسافة مسير يومين أو ثلاثة أيام لكنها لا تضم سوى سبعة قرى مستوطنة. استفسرت عن البترا أو بدرا (حيث أن العرب لا

(119) إحدى القبائل المسيحية التي تسكن مدينة الكرك، ويرجح انها من قبيلة الغساسنة العربية، فريدريك، تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، ص 366.

(120) تتبع هذه المدينة حاليا إلى لواء القصر في محافظة الكرك.

(121) الظاهر هنا أنّ الكاتب يقصد قلعة الكرك.

(122) منطقة جبال في محافظة الطفيلة تمتد من وادي الحسا حتى شمال الشوبك حيث بداية جبال الشراة. وردت باسم جوبوليس وجوبوليتيس وغابالیتاي عند جوسيفوس، ووردت أيضاً عند كل من المؤرخ الكنسي يوسيبيوس وستيفانوس البيزنطي (السلامين، زياد. المدن والقرى المتنازع عليها بين الأنباط والمكابيين، دراسة لقائمة المؤرخ فلافيوس جوسيفوس. المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد11، العدد 1، 2017، ص 64 وص 65).

(123) هذا الاسم غير مستخدم حالياً وغير معروف، إلا أنه ورد عند بيركهارت مستكشف البترا في عام 1812، والواضح أن هذا الاسم اطلق على الطرف الغربي من وادي الحسا عند مصبه في البحر الميت، بالقرب من منطقة النقعة في غور الصافي.

يستطيعون لفظ حرف P)، وتم التأكيد لي بأنها على بعد يوم واحد من السفر، لكن لاحقاً عرفت من أسقف الكرك في القدس بأنها (البترا) على بعد فرسخين من البحر الميت[124]. أبعد من ذلك وإلى الجنوب من جبال هناك الشراة، والتي هي بالمثل تمتد لمسير يومين وفيها قرية واحدة مستوطنة تحمل نفس الاسم[125]. هناك العديد من الكهوف الصناعية التي نحتت في الصخور في محيط الكرك حيث يتم تخزين القمح لعشرات السنين.

مرة أخرى رفض يوسف إكمال رحلته حول البحر الميت وقرر الالتحاق بالجمع الذي سيذهب من الكرك إلى القدس من أجل عيد الفصح وعبور نهر الأردن من الطرف الشمالي للبحر الميت سباحةً باستخدام القرب (الجلود). صممت على اتباع الطريق الآخر حول الطرف الجنوبي لهذا البحر (البحر الميت)، وكنت محظوظاً بما فيه الكفاية ونجحت في هذا الأمر. العديد من سكان الخليل وبيت لحم الذين اشتروا من البدو بضع مئات من الضأن فضلوا سلوك هذا الطريق إلى القدس. ولهذا السبب أجبروا على استخدام أدلاء من البدو الذين تفاوضت معهم أيضاً. انطلقنا في الثاني من نيسان (1806) عبر منطقة وعرة جداً (جبلية) حيث أُجبرت كثيراً على الترجل عن ظهر فرسي حتى أبقى دافئاً. بعد الظهر لم يكن أمامنا سوى الانحدار من خلال درب يؤدي إلى سهل في الطرف الجنوبي للبحر الميت يسمى غور الصوفيا (الصافي). هذا الدرب كان منحدراً جداً وخطير ووصلنا السهل في ثلاث ساعات بعد غروب الشمس. في صباح اليوم التالي عبرنا الجدول الصغير المسمى القراحي والذي ينبع من وادي الحصين (الحسا) إلى هذا المكان. لقد كنا حينها على حدود جبال والعربية الصخرية[126]، وتغير المناخ بشكل كامل وفي الصيف تعادل شدة الحر شدته في المناطق الاستوائية. بعد فترة وجيزة أمضينا بضع ساعات في عبور سهل من الملح دون أثر لأي نبات.

اتجهنا بعد ذلك غرباً وجعلنا البحر الميت على يميننا باتجاه الشمال. لا يمكن العثور هنا لا على زوارا ولا سيغور[127]، وكلاهما على خارطة م. بولوس، وكان أمامنا جبل كبير جداً يتشكل من عدة طبقات من الملح المتكلس. هذا الجبل الذي يبدوا بطول ثلاثة فراسخ يمنح البحر الميت طعمه المر. بعد وصول هذا الجبل الملحي اتجهنا شمالاً ووصلنا

(124) تقع البترا على البترا على بعد 100 كم من الطرف الجنوبي للبحر الميت، وليس فرسخين كما ورد في النص.

(125) تمتد جبال الشراة بين وادي الحسا شمالا وجروف رأس النقب جنوبا، بطول 105 كم تقريبا. الروسان، نايف وآخرون، جغرافية الأردن، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2001، ص27.

(126) المقصود بها منطقة البترا Arabia Petraea.

(127) زوارا زُغر أو صوغر وهي منطقة غور الصافي بالقرب من الطرف الجنوبي للبحر الميت، حيث وردت في بعض المصادر الكتابية القديمة (السلامين والقنانوة. الطوبونيميا النبطيَّة، ص 109 وص 187.

بعد فترة وجيزة ضفاف البحر الميت. ترجلت عن فرسي وبحثت دون فائدة عن أصداف ونباتات بحرية على طول ضفافه. بعد فرسخين من الطرف الجنوبي للبحر الميت يوجد نهر (واد) Futlet، الذي لا يمكن عبوره إلّا في الصيف وحتى في ذلك الوقت فإنه يتوجب عليك الخوض خلال خمس ساعات في الماء المشبع بالملح الضار بالأرجل وهذا هو سبب قلة عبور هذا الطريق. الشاطئ الغربي للبحر الميت ذو تضاريس صعبة من صخور جرداء كبيرة. لم أشاهد أي أعمدة من الملح، لكن هناك كومة كبيرة من الحجارة التي كان رفاقنا من البدو حريصين على زيادتها. وإذا كانت قصة امرأة لوط صحيحة فإنه من المحتمل أنهم يرمون بشكل جماعي قطع من الملح المتكلس بدلاً من الحجارة. تشير الخارطة إلى وجود نهر في موقع ثاميرا (Thamera)[128]، لكنني شعرت بالأسى لعدم العثور عليه حيث كنا نعاني بشكل كبير من العطش. مع اقتراب المساء تبعنا درب على جبل مرتفع جداً فتمكنت من هناك من رؤية الجزء الأكبر من البحر الميت الذي اكتشفت فيه جزيرة لا بأس بها[129]. قضينا الليلة على قمة صخرة ونحن نعاني من عطش شديد. في الرابع من نيسان أكملنا طريقنا فوق جبال جيرية ووصلنا في المساء إلى قرية من الخيام يسكنها عرب (بدو) من قبيلة الشهالين (الجهالين). في الخامس من نيسان كنا بحاجة للخبز وللماء وكنا في حاجة للاعتماد على بعض الأعشاب البرية للبقاء على قيد الحياة. استرحنا لبضع ساعات فقط، وأكملنا المسير على ضوء القمر من أجل وصول القدس التي كانت على بعد ست أو سبعة فراسخ في السادس من نيسان. مع ساعات الصباح أصابنا عطش شديد ولمزيد من البؤس لمحنا فرقة من البدو وبالكاد تمكنا من تجنبهم. في صباح السادس (من نيسان 1806) وصلنا بيت لحم، وبعد ذلك بفترة وجيزة إلى القدس. لقد كنت الحاج المسيحي الوحيد في المجموعة ولذلك تم استقبالي بحفاوة بالغة في دير القديس تيرا[130] . لقد وجدت القدس مدينة رائعة جداً أكثر مما توقعت. لكن بالنسبة لأولئك الذين يزورونها لأي سبب آخر عدا عن السبب الديني فلا بد أنها مكان متعب وممل. وللحفاظ على شخصيتي كحاج دفعت ثلاث وثلاثين قرش وربع من أجل أذن دخول كنيسة القيامة ليلة (غرة) عيد الفصح، كما هو ممارس من قبل أتباع الكنيسة اليونانية ومسيحيين شرقيين آخرين. ومن المعروف تماماً بأنه في ذلك اليوم هبطت النار المقدسة من السماء، وأن القديس اليوناني الذي يستقبلها بعد صلاة (دعاء) فيه خشوع كبير جداً ويدعى أسقف النور (مطران النور). لقد كان هذه المرة أسقف الكرك. مدينتي القدس وبيت لحم معروفات بشكل كبير ولا يحتاجان لأي

(128) ثمارو (thamaro) عرفت ايضا باسم ثمارا ، كانت من المدن الجنوبية المهمة في فلسطين، ومقرا لحامية في العصر الروماني، هي عين حذيفة الحالية، بطليموس والجزيرة العربية، ص 81، هامش رقم 2.

(129) جزيرة صغيرة من الملح في وسط البحر الميت تشكلت نتيجة الترسبات والتراكمات الملحية.

(130) في القدس.

وصف من قلمي لذلك سأستغل المساحة للكتابة عن بعض الأمور المتعلقة بالبحر الميت والتي ربما تكون مفيدة أكثر بشكل عام. يعرف البحر الميت بين البدو باسم بحيرة لوط أو بحرة لوط أو بركة لوط. وهناك زعم بأن هناك بقايا مبانٍ قديمة مازال يمكن العثور عليها في هذا البحر. هذا الأمر غير محتمل. لقد استفسرت حول هذا الأمر. لم يعطيني أي شخص أي معلومة إيجابية والعديد من الذين أكدوا هذه الحقيقة اختلفت أقوالهم.

بالكاد استطعت استكشاف ضفافه خلال رحلة يوم واحد، ومحيطه يعادل مسير ستة أيام. زعم العديد من الرحالة أنهم اكتشفوا بقايا مبانٍ قديمة هناك لكن روايتهم تستحق القليل من الاهتمام. فعلى سبيل المثال يؤكد م. دي. نيتشتيز[131] بأنه شاهد شكل ومظهر هذا البحر من جبل الزيتون قرب القدس (جبل الطور)، وهو أمر خاطئ ومستحيل بالتأكيد. ماء البحر الميت مالح وشفاف لكنه مالح ممثل ملوحة ماء أحواض الملح. والملح الذي يستخرج منه ذو جودة ممتازة ويتشكل بشكل خاص على الشاطئ الشرقي على شكل كتل كبيرة تكون عادة بسماكة القدم. هذه العملية تحدث في تلك البقع التي يغمرها البحر في مواسم المطر لأن البدو لا يتعبون أنفسهم بعمل حفر تساعد على تبخر الماء (للحصول على الملح). وتصبح الحجارة على الشاطئ مغطاة كما هو الحال في الملاحات لدينا بقشرة من الجير والجبس. الملح يستخدم في جزء واحد من فلسطين. لقد ذكرت سابقاً سبب الطعم المر لهذا الماء والذي بناءً عليه سيستمر بشكل متزايد. ربما ليس من الضروري بالنسبة لي أن أشير من ناحية أخرى بأن القصص العديدة المرتبطة بهذا البحر جميلة. مثل أن الحديد يطفو عليه وأن الأجسام المضيئة تغوص في قاعه وأن الطيور التي تمر من فوقه تسقط ميتة في البحر وغيرها. أما الأسفلت والذي يُجمع هنا فيختلف عن الاسفلت الذي في مناجم حاصبيا من حيث أنه أكثر نفاذية للسوائل (مسامي). وفي حالة سائل بشكل واضح. لقد أُخبرت في الكرك بأن هذا القار يرشح من بعض الصخور على الشاطئ الشرقي ويشكل تدريجياً قشرة سميكة، والتي تحررها الرياح وتطفو على سطح الماء ويجمعها البدو[132] الذين يأخذونها ككتل كبيرة إلى القدس. هذه الكتل كبيرة جداً لدرجة انها تشكل حملاً لعدة جمال (إبل). على أية حال فإنه بعد مرور عدة سنوات فقط يمكن الحصول

(131) لا يوجد أي معلومات عن هذا الشخص.

(132) عملية جمع القار أو الأسفلت الذي عرف به البحر الميت عملية قديمة، وقد مارسها العرب الأنباط واستغلوا القار كمورد طبيعي وكانوا يصدرونه إلى مصر؛ لأنه كان يستخدم في عمليات التحنيط (السلامين، زياد. البتراء: تاريخها وآثارها، 2018، مطبعة السفير، عمان، ص 190 – 192).

على كمية من الأسفلت من شواطئ البحر الميت. ويسمى هنا حجر (حجير) موسى. عندما لمسته كان بارداً كأي حجر أخر ومظهره مثل لوح صخري.

من الطبيعي جداً ان تخرج الأبخرة من سطح الماء في منتصف وادٍ عميق تحيط به جبال مرتفعة، والذي تُعادل فيه درجة الحرارة في شهور حزيران وتموز وآب درجة الحرارة في المناطق الاستوائية. بالذهاب ليوم واحد من القدس إلى بيت لحم لاحظت دخان كثيف جداً يصدر من بعض أفران الجير والفحم والصودا والتي أنشأها العرب (البدو) على الضفاف. هؤلاء العرب (البدو) لا يعتبرون أبخرة البحر الميت غير صحية أكثر من أي بحيرة أخرى. لم أجد في هذا البحر أي نوع من قواقع البحر أو بلح البحر. وجدت فقط بعض القواقع العادية التي قمت بجمعها من على ضفاف البحر الميت، ولا بد من أن أعترف بأنني استكشفت جزءاً بسيطاً منه. ليس هناك قصب هنا لكنه ينمو على بعد بضع فراسخ إلى الشرق. إن المعلومات التي تمكنت من جمعها عن تفاح سدوم[133] فيها تعارض كبير وغير كافية، إلّا أنني أعتقد بأنني أستطيع تقديم تفسير طبيعي جداً للظاهرة وأن الإشارة التالية ستعود إلى ذلك. بينما كنت في الكرك في منزل قسيس من اتباع الكنيسة اليونانية (الشرقية) في البلدة شاهدت نوع من القطن يشبه الحرير استخدمه كمادة سريعة الاشتعال لبندقيته (ملح بارود)، حيث إنّها مادة لا يمكن استخدامها في صنع الملابس. لقد أخبرني بأنها تنمو في سهول الغور إلى الشرق من البحر الميت في سهول الغور غلى الشرق من البحر الميت على شجرة تشبه شجرة التين تسمى عويشير. القطن يكون داخل ثمرة تشبه الرمان وبعمل جروح في جذر الشجرة يخرج مادة كالحليب ويُنصح به للنساء المصابات بالعقم ويسمى لبن عويشير[134]. لقد أدهشني أن هذه الثمار وكما هي عليه بدون ملمس، وهي غير معروفة في كل أنحاء بقية فلسطين، وقد تكون تفاحة سدوم المشهورة[135]. أنني أفترض بالمثل بأن الشجرة التي تنتج هذه الثمرة هي نوع من القابوق[136] (Bombax Linn)، والذي ينمو فقط في البحر الميت شديد الحرارة، وليس في أي منطقة أخرى من فلسطين. بالنسبة للرمان فإنني أشك بشكل كبير بأن يكون موجود على شواطئ هذا البحر(الميت)، لكن في الجوار في سهول الغور وبالقرب من سطح التربة يوجد كميات كبيرة من الكبريت المحلي في كتل دائرية بحجم بيضة الأوز.

(133) سدوم هي إحدى المدن الخمس التي أحرقتها النار التي نزلت من السماء بسبب خطايا أهلها، والتي قد تكون في جوار البحر الميت، قاموس الكتاب المقدس.

(134) على ما يبدو أنّ التسمية جاءت من حمل النساء.

(135) نبات عشار باسق (Calotropis Procera).

(136) نوع من الأشجار العملاقة، تتواجد في المناطق الاستوائية، يصل ارتفاع بعض أصنافها إلى 70 متر.

لقد نويت الذهاب مباشرة من القدس إلى جبل سيناء ومن هناك إلى القاهرة لكنني لم أعرف ما إذا كان الطريق الأول من هذه الطرق مستخدم أم لا؛ لأنّ كل الرحالة السابقين ذهبوا إلى جبل سيناء من مصر أو من السويس باستثناء اثنين من الرحالة المبكرين الذين ذهبوا هناك من غزة. ولأنني لم أتمكن من الحصول على معلومات حول هذا الأمر لا في القدس ولا في بيت لحم ذهبت إلى الخليل، حيث ارتفع سقف التوقع بإمكانية القيام بالرحلة. ولهذه الغاية علمت بأنه يتوجب علي الحصول على بعض الجمال والتزود بالماء والطعام وتأمين دليل جيد، وعلمت أنّ الرحلة قد تستغرق من عشرة إلى أحد عشر يوماً. علمت أيضاً بالمثل بأنه على بعد مسير يومين ونصف من الخليل سأجد آثاراً كثيرة لبلدة عبدة[137]، لكن لبقية الرحلة خلال العربية الصخرية لن أتمكن من مشاهدة أي مكان فيه استيطان وسأقابل بعض قبائل البدو الرحل فقط. ولأن هذا الطريق لم يكن معروفاً فقد توقعت أن أسجل العديد من الاكتشافات في المعادن، وكذلك الحيوانات والنباتات في المنطقة، ومن الصحراء والغربان والعشبة التي تنتج البلسم واللبان العربي والجراد وجبل سعير[138] وغيرها. هذا الطريق الذي يمر من وسط العربية الصخرية ربما يكون الطريق التجاري القديم من القدس إلى عصيون جابر[139] على الذراع الشرقي للخليج العربي (العقبة). قبل الشروع بهذه الرحلة اقترحت القيام برحلة ثانية حول البحر الميت من أجل تفحص وضعه وطبيعته وغيرها ومن أجل تصحيح التقارير السخيفة وغير المعقولة التي نشرها الرهبان والرحالة السذج حول هذا الموضوع من خلال خبرتي الشخصية، لكن أقداري قررت خلاف ذلك لأني وبسبب تعرضي ولفترات طويلة لأشعة الشمس أثناء إتمام ملاحظاتي الفلكية (الجغرافية) فقد أصبحت مريضاً بشكل جدي ولم أفكر خلال فترة أسبوعين إلا في أسباب تعافي صحتي. في الوقت الراهن فإن الوقت الملائم للقيام بجولة البحر الميت قد مضى وقررت تأجيل القيام بالرحلة لما بعد انقضاء فترة الحر الشديد. غادرت القدس في الخامس والعشرين (25) من أيار 1806 إلى يافا حيث انطلقت بعد بضعة أيام لاحقاً إلى عكا (St.Jean d'Arch) حيث أنا الآن[140].

(137) تعتبر مدينة عبدة من أهم المواقع النبطية الموجودة في النقب (السلامين، البتراء، ص).

(138) يقع شمال شرق الخليل، الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الخامس – الجزء الثاني، ص 182.

(139) كانت هذه المدينة آخر محطات بني إسرائيل في رحلتهم في البرية (حسب ادعاءات العهد القديم).

(140) لم نعثر على معلومات عن هذا المكان، لكن يبدو من الاسم أنه دير في مدينة عكا الفلسطينية.